جامعة محمد خيضر بسكرة
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم العلوم الإنسانية

مذكرة ماستر

الميدان: العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية
الفرع: تاريخ عام
التخصص :تاريخ الوطن العربي المعاصر

رقم: .....

إعداد الطالب:
بتقة سلمى

يوم:06/07/2019

إصلاحات السلطان الحسن الأول في المغرب الأقصى
1873-1894م

لجنة المناقشة:

نوي إيمان	أ. مح ب	**جامعة بسكرة محمد خيضر**	رئيس
بكرادة جازية	أ. مس ب	**جامعة بسكرة محمد خيضر**	**مشرف**
بوخليفي جهينة	أ. مح أ	**جامعة بسكرة محمد خيضر**	مناقش

السنة الجامعية:2018- 2019

((وقَالَ مُوسَى لأَخِيه هَارُونْ أُخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وأَصْلِحْ ولاَ تَتَّبِعْ سَبِيْلَ المُفْسِدِينَ))

الأعراف الآية:{142}

الشـــكر والعرفـــان

أول من يشكر و بحمده أناء الليل والنهار العلي العظيم الأول والآخر الظاهر الباطن الذي أغرقنا بنعمه التي لا تحصى، له جزيل الحمد والثناء العظيم، هو الذي أنعم علينا بأن أرسل عبده و رسوله محمد صلى الله عليه و سلم ،فعلمه ما لم يعلم وحثنا على طلب العلم أينما وجد.

لله الحمد كله والشكر أن وفقنا وألهمنا الصبر على المشاق التي واجهتنا لإنجاز هذا العمل المتواضع، كما نتقدم بجزيل الشكر إلى الأستاذة المشرفة "**جازية بكرادة**"، والتي إن تمّ التحاقي بها متأخرا، إلا أنها كانت خير مشرف وموجه بتواضعها وإرشادها المتواصل ،وحرصها لتشجيعي على الصعاب التي واجهتني، ولا ننسى في الأخير شكر كل أستاذ ومسؤول أفادنا بعلمه من أول مراحل الدراسة إلى هذه اللحظة المنشودة، على رأسهم أستاتذة قسم التاريخ بفرع شتمة ،خاصة الأستاذة **غرداين مغنية** التي ذللت لي الصعاب الإدارية التي واجهتني، و أستاذ التعليم المتوسط "**محمد معناني**" الذي لم يبخل علينا بنصائحه وإرشاداته.

قائمة المختصرات

ج	جزء
ع	عدد
د.ت	دون تاريخ النشر
مج	مجلد
ط	طبعة
د.ب	دون بلد نشر
ص	صفحة
ص.ص	من الصفحة إلى الصفحة
P	page

فصل تمهيدي:

أوضاع المغرب قبيل إعتلاء الحسن الأول العرش

أولا: أوضاع المغرب الأقصى

ثانيا: نبذة عن شخصية السلطان الحسن الأول

أولا: أوضاع المغرب الأقصى (داخليا–خارجيا)

1. داخليا:

سوف نتناول في هذا الجزء أوضاع المغرب الداخلية عشية اعتلاء السلطان " حسن الأول" العرش حيث سنحاول حصر أهم الظروف السائدة آنذاك، بأن نسلط الضوء على الحوادث والنقاط التي خاضها المغرب الأقصى، وقد تكون لصالحه تارة وضده تارة أخرى.

عرف المغرب بداية حكم "عبد الرحمان بن هشام"[1] سياسة تتأرجح بين اللين والتغاضي عن الأخطاء السابقة، وبين الشدة التي تتمثل في توليته ابن عمه " أبي محمد بن الطيب" أمير مدينة فاس [2]. و الذي بدوره أخضع كل الأقاليم للسلطان لمَّا اتصف به من الشدة والبطش والشكيمة، ولكن هذا الانشغال بإخضاع الأقاليم وبسط النفوذ لم يمنع السلطان من القيام بمشاريع لبناء مراكش، إذ نجد أنه أعاد بناء مرسى طنجة كما قام بتجديد "الحرم الإدريسي" بفاس و"أبراج الصويرة" وجامع "المنصور" بالقصبة [3].

وما إن حكم بعده ابنه المولى "محمد الرابع" حتى واصل مشوار والده في البناء والتطوير، إذ نجد أنه حقق منجزات في الري والإصلاح الفلاحي، فقد باشر باستدعاء خبير فرنسي لمراكش[4]

---

[1] اسمه عبد الرحمان بن هشام 1790–1899م، ثالث حكام الدولة العلوية حكم المغرب في الفترة مابين 1822–1859، بدأ حكمه مع بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر، وقد دعم المقاومة الجزائرية حينها إذ احتضن الأمير عبد القادر في عهده حدثت معركة إسلي 1844م (للمزيد ينظر : محمد العرائشي: المولى عبد الرحمان بن زيدان 1365/1225هـ، **مجلة دعوة الحق**،ع322،وزارة الشؤون و الأوقاف الإسلامية، أكتوبر 1996، على الرابط الإلكتروني:
https//:www.habous.gov.ma/daouatalhag/item)

[2] أحمد بن خالد الناصري، **الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى –الدولة العلوية**، القسم 3، ج9، تح: جعفر الناصري ومحمد الناصري، الدار البيضاء، 1927، ص112.

[3] شوقي الجمل عطاالله، **المغرب العربي الكبير**، (د، ط)، مطبوعات النيل، القاهرة، 2007، ص224.

[4] هي مدينة بالمغرب أسسها "يوسف ابن تاشفين" 454–1062م كما بنى عليها المسجد المعروف باسم جامع يوسف، كانت عاصمة المرابطين والموحدين، تشتهر بصناعة الجلد والصباغة والنحاس والمنتوجات، فيها مزارع الزيتون وواحات النخيل (للمزيد ينظر إلى: لسان الدين أبي الخطيب السلماني، **معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار**، تح: كامل شبانة، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002، ص161).

و كلفه بجلب الآلات الفلاحية والأدوات العلمية[1].

وقد انعكس هذا الإصلاح على الجانب العمراني فنرى أن السلطان أجرى الكثير من الأنهار وفجر العيون، غرس الحدائق كما عمر العديد من المساجد (جامع السنة، جامع أهل فاس بالرباط) وضبط أمر السكة على أساس الدرهم الشرعي[2] ليصل به التجديد إلى الجانب العسكري الذي إرتأى بعد معركة "ايسلي" 1844م[3] ضرورة تحديثه والاهتمام به وعليه، فقد أسس فيلقين من ثلاثة آلاف جندي نظامي بقيادة ضباط حاربوا إلى جانب الأمير "عبد القادر" في الجزائر، أما حاشية الملك فكانت منكبة على دراسة العلوم الرياضية حيث اتصل المولى "عبد الرحمان" بعلماء بلجيكيين وأسس مراصد فلكية في مراكش وفاس، ومنه يمكننا القول أنه لو لم تستقر الحروب مع فرنسا وإسبانيا في هذه الفترة لانبثق عن عهد "محمد الرابع" ازدهار كان من شأنه أن يغير اتجاه المغرب الحضاري ومكانتها [4].

2. خارجيا:

عرف المغرب في القرن التاسع عشر بالخصوص بداية حكم "عبد الرحمان بن هشام" الغزو الفرنسي للجزائر، الذي أدخل المغرب في احتكاك مباشر بالمستعمر حيث نرى أن المغرب حوَّل وجهته من صد مطامع الأعداء إلى محاربة فرنسا (1844-1845م)، والتعاطف مع الجزائر في محنته، سواء منذ بدأ الحصار على الجزائر 1827م أو أثناء الحملة التي خرج من خلالها الكثير من العائلات صوب المغرب، وإذ لم تكن هزائم المغرب هذه تسفر على عواقب وخيمة فيعود هذا

---

(1) محمد عامر، محمد خير فارس، **تاريخ المغرب الحديث "المغرب الأقصى –ليبية"**، الجمعية التعاونية للطباعة، دمشق، د، ت، ص64

(2) شوقي الجمل عطاالله، **المرجع السابق**، ص240.

(3) هي معركة قامت بين المغرب وفرنسا في 1844م ، بسبب مساعدة السلطان المغربي "عبد الرحمان بن هشام" المقاومة الجزائرية ضد فرنسا، الأمر الذي جعل الفرنسيين يقومون بالهجوم على المغرب بضرب ميناء طنجة حيث أسقطت ما يزيد عن 155 قتيل، انتهت المعركة بانتصار الفرنسيين وفرضهم شروط قاسية على المغرب منها: منع المغاربة من تقديم الدعم للجزائر (للمزيد ينظر: نسيم نويوة، **معركة ايسلي 1844 وانعكاساتها على العلاقات الجزائرية المغربية**، مذكرة لنيل شهادة الماستر، تخصص تاريخ الحديث والمعاصر، جامعة محمد بوضياف، مسيلة، 2015-2016، ص9).

(4) محمد علي عامر، محمد خير فارس، **المرجع السابق**، ص65.

إلى تدخل إنجلترا الدبلوماسي التي بانت تقف في صف البلاط تشجعه على الصمود في بعض المواقف [1].

وقد كانت علاقات المغرب مع إنجلترا ودية، إلا أن إستفحال الحمايات أدى بيهود المغرب إلى طلب وساطة من أجل ضمان حريتهم، إلا أن الأمر تحول إلى تطاول لاسيما في المراسيم التي نشرها السلطان[2]، وعليه قام هذا الأخير بنشر مرسوم جديد هدد فيه المشاغبين، وأكد كفالته للرعايا المخملين من اليهود رغبة في تنظيم حق الحماية وضمان حرية الرعايا.

وعليه فتحت جبهة أخرى وهي التدخل في شؤون الدولة المغربية، والتصادم مع مصالح الرعايا الأوربيين، ليظل الفكر العام بعدها فطن ومتيقظ من تطور هذه الحساسيات والقضايا مع أوروبا بشكل عام وإنجلترا بشكل خاص، التي قد تؤدي إلى احتكاك مباشر (حرب عسكرية) [3] .

ثانيا: نبذة عن شخصية الحسن الأول

1. النسب والمولد:

أ- النسب

ينتسب العلويون الحاليون إلى جدهم "علي الشريف" الذي ينحدر من سلالة "علي بن أبي طالب" و"فاطمة" بنت الرسول صلى الله عليه وسلم، وقد قدم أجدادهم من "ينبع" بالحجاز إلى المغرب واستقروا بسجلماسة[4] وذلك في القرن 7هـ[5]، إذ أن أول من جاء للمغرب من هذه الأسرة هو المولى "حسن بن قاسم" الملقب بـ" الحسن الداخل "[6] .

---

[1] أحمد بن خالد الناصري، **المصدر السابق**، ص115.

[2] محمد علي عامر، محمد خير فارس، **المرجع السابق**، ص65.

[3] شوقي الجمل عطاالله، **المرجع السابق**، ص.ص.241.245.

[4] هي مدينة عتيقة أسسها بومدرار في القرن 2هـ، وكانت عاصمة إقليم تافلاليت إلى ما بعد القرن 11هـ (للمزيد ينظر: زهية قدورة، **تاريخ العرب الحديث**، دار النهضة العربية، بيروت، (د ت)، ص536.

[5] محمد الأمين محمد، محمد علي الرحماني، **المفيد في تاريخ المغرب**، (د، ط)، دار الكتاب، الدار البيضاء، د ت، ص212.

[6] دخل سجلماسة عام 1265م عهد الدولة المرينية بناء على طلب وفد الحجاج السجلماسيين بأن يكون إلى جانبهم أحد أفراد آل البيت النبوي للتبرك به إذ وقع الاختيار على مولانا الحسن الداخل لما يتميز به من أخلاق نبوية وأريحية هاشمية ومن هنا شرع في إقامة الدولة العلوية الشريفة وقد توفي 1277هـ (للمزيد ينظر: محمد العربي الشاوش، **الدولة العلوية المغربية النشأة والاستقرار**،**مجلة دعوة الحق**، العدد273،على الرابط الالكتروني: https//:www.habous.gov.ma/daouatalhag/item)

ومن هناك تهيئوا لإقامة دولتهم[1] التي تعتبر الدولة الثالثة في المغرب من حيث نسبها الشريف فالأدارسة والسعديون كلهم أشراف [2] .

ولقد كانت لـ"علي الشريف" صداقة متينة مع أبي "حسون السملالي" أمير بلاد "السوس" كما كانت له عداوة شديدة مع أهل "تيو عصامت"، الذين يقطنون في حصن قوي البنيان ولما اعتدوا عليه استعان عليهم بصديقه "السملالي" الذي قام بالاستنجاد بالدلائيين[3] أصحاب "فاس"[4] و "مكناس"، وحينها سلك أهل "تيو عصامت" خطة جديدة وهي أنهم مالوا إلى "أبي حسون السملالي"، حينما أراد ومن ثم عملوا على إفساد العلاقة القائمة بينه وبين "علي الشريف" الذي انتهز الفرصة وغزاهم لبلادهم على حين غفلة وفتك بهم فتكا ذريعا.[5]

وما إن علم الأمير "بن حسون" بذلك حتى غضب وكلف عامله بـ"سجلماسة" أن يلقي القبض على "علي الشريف" ويبعث به إليه، فنفذ العامل الأمر ولم يطلق سراح " الشريف" إلا بعد أن دفع ولده "محمد" مالاً جسيما إلى الأمير "السملالي" 1637م.[6]

ومن ثم كثُر أنصار "محمد بن علي الشريف" [7] من أهل "السوس" وكان معظمهم يحقدون على عمال "أبي حسون السملالي" لشدة ظلمهم، فحارب "محمد" بأنصاره أولئك العمال بدون هوادة

---

[1] شوقي عطاالله الجمل، **المرجع السابق**، ص209.

[2] محمد الأمين محمد، محمد علي الريحاني، **المرجع السابق**، ص112.

[3] هم أنساب الزاوية الدلائية التي اختطها الشيخ أبو بكر محمد الدلائي أواخر العصر السعدي، حيث شيدها وسط قبيلة آيت إسحاق بمنطقة تادلة، ولقد كانت هذه الزاوية مركز الحركة العلمية الكبرى وقد قصدها العلماء والطلبة (للمزيد ينظر: الصديق بن العربي، **كتاب المغرب**، ط3، دار الغرب الإسلامي، (د. ب)، 1984، ص152).

[4] هي مدينة مشهورة كبيرة في المغرب من بلاد البربر ،كانت فاس قديما عبارة عن مدينتين عظيمتين قد نسب إليها جماعة أهل العلم منهم الفقيه أبو عمران بن موسى الفاسي، كانت هذه المدينة تسكنها طائفة من اليهود (للمزيد ينظر: شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي، **معجم البلدان**، ج4، (د. ط)، (د.ب.ن)، (د. ت)، ص230).

[5] محمود شاكر، **التاريخ الإسلامي لبلاد المغرب**، ط2، المكتب الإسلامي، دمشق، 1996، ص341.

[6] محمد الأمين محمد، محمد علي الرحماني، **المرجع السابق**، ص43.

[7] المعروف في تاريخ الدولة العلوية بمحمد الأول بويع بعد وفاة والده الشريف 1658م توفي 1664م نستطيع القول أن فترة حكمه فترة انتقالية بين عهد الحركات المتصارعة على الحكم نتيجة ضعف الدولة السعدية وبين عهد انبعاث النظام المتمثل في الأسرة العلوية التي أعادت وحدة البلاد وسيادته (للمزيد ينظر: وزارة الأوقاف والشؤون الدينية : محمد بن محمد الشريف في قوته وارتياده للأدب، دعوة الحق،ع 116، على الرابط الالكتروني:.http//:www.habous.gov.ma>daouatalhag>item)

حتى طردهم من مراكزهم وعقب ذلك بايعه السوسيون 1640م ، مما جعله يذهب لمقاتلة " أبي حسون فنشب بينهم حرب كان النصر فيها لـ"محمد بن الشريف" والهزيمة النكراء للسملاليين، وهكذا نجح "المولى محمد"[1] في طرد "أبي حسون" واستولى على "درعه"[2] التي كانت تابعة له، ثم دخل مدينة فاس فاصطدم بالدلائيين الذين نجحوا في طرده إلا أن الأمر لم يتوقف هنا فقد وقعت بين الطرفين معارك أخرى تمكن فيها "محمد" من الإستيلاء على فاس والقضاء على الدلائيين وذلك سنة 1650م.[3]

ب- المولد:

ولد "الحسن بن محمد بن عبد الرحمان" عام 1247هـ، حسبما ذكر "ابن زيدان" [4] الذي يضيف أنه وجد تاريخ ميلاد "الحسن" مقيدا بخط قاضي الجماعة[5] العلامة "الشنب ابن العباس أحمد بن طالب بن سودة"، وذلك التاريخ يوافق سنة إحدى وثلاثين واثنين وثلاثين وثمانمائة وألف ميلادية 1831-1832م[6]، ويبدو أن هناك اختلاف كبير حول تاريخ ولادته بالسنوات الميلادية فيذهب البعض إلى أنه ولد عام 1836م حتى عام 1843م والمتفق عليه أنه ولد عام 1831م [7] (7)

---

(1) محمود شاكر، **المرجع السابق**، ص34.

(2) تقع في المغرب مجاورة لمدينة سجلماسة مثلها في الثراء لديها قاعدة تسمى تيموتين، مدينة أهلة بالسكان فيها الجوامع الأسواق، تزرع فيها الحناء إلى جانب ذلك الكمون والكراوية (للمزيد ينظر: محمد عبد المنعم الحميري، **الروض المعمار في خبر الأقطار**، تح: عباس إحسان، ط1، مكتبة لبنان، بيروت، 1975، ص118).

(3) نجيب زبيب، **الموسوعة العامة لتاريخ المغرب**، ج3، ط1، دار الأمير للثقافة والعلوم، بيروت، 1937، ص18.

(4) هو عبد الرحمان بن محمد بن زيدان بن إسماعيل العلوي 1878-1946م نقيب الأشراف العلويين بمكناس ومؤرخ الدولة العلوية وجامع وثائقها وظهائرها (للمزيد ينظر: محمد العرائشي، **المرجع السابق**)

(5) محمد معريش، **المغرب في عهد السلطان الحسن الأول 1873-1894**، ط1، دارالغرب الإسلامي، بيروت، 1989، ص61.

(6) عبد الرحمان بن زيدان، **الدرر الفاخرة بمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة**، (د. ط)، المطبعة الاقتصادية، الرباط، 1937، ص97.

(7) محمد معريش، **المرجع السابق**، ص61.

ت- النشأة:

نشأ "الحسن الأول" في حجر جده عبد الرحمان الذي اعتنى بتربيته منذ صغره وكان يختار له الأساتذة، وقد مكث بدار خاله العربي الجامعي لاكتساب المعرفة وبقي هناك مدة مع كبراء السن من الخدم الذين لهم دراية بسير العظماء والملوك، فكانوا يحدثونه عنهم[1]، ولما شب وجَّهه جده إلى زاوية "دار الشمعة" ببلاد أحمر بين مراكش ومدينة آسفي، حيث تلقى دروسه بصرامة عن رجال الدين، ثم انتقل إلى جامعة فاس ودرس كغيره من إخوته[2]، وقد كان شغوفا بتحصيل العلوم الدينية والأدبية والرياضية على الخصوص[3]، ومن العلوم التي نبغ فيها الأدب العربي الذي راح يوظفه في المطالعة وشرح الكتب الدينية[4]، وفي 1859م توفي جده "عبد الرحمان" فتكفل به والده والده حينها، الذي حرص على الاعتناء به والاهتمام بتعليمه[5] ، وقد امتاز "الحسن" فضلا عن عناصر الشخصية المعنوية بعناصر جسدية مميزة، فهو سليم البنية أسمر البشرة ذو نظرة ثاقبة هادئ ووقور مما أكسبه هيبة[6]، وإلى جانب هذا امتلك صفات كالتقوى، التسامح، الورع، التواضع، الشجاعة و الحزم، التبصر السياسي و قوة الشخصية وحس التنكيت [7].

وكان أول زواج "للحسن" بابنة عمه "العباس" في مراكش عام 1848م، حيث أقام له والده "محمد" أفراحا دامت سبعة أيام في حدائق زُيِّنت بالزرابي،أكرم خلالها المستضعفين من الأرامل والأيتام والفقراء.

ولما كان "الحسن" يمتاز بالصفات السابقة فقد أولاه والده محمد الذي كان شديد التعلق به اهتماما خاصا إذ علمه ما يجعله قادرا على ولاية عهده[8] ، فكان يستخلفه ويلقي عليه مهماته،

---

(1) عبد الرحمان بن زيدان، **إتحاف أعلام الناس بجمال حافرة مكناس**، ج3، ط1، المطبعة الوطنية، الرباط، 1930، ص116.

2) Julien, Charles André et autres **: les Africains «Hassan et la crise marocaine au x ix siècle»**, èait. Jeune Afrique. Sl. 1977-1978, p237.

(3) عبد الرحمان بن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، المصدر نفسه، ص116.

4) Caille jacques **: la petite histoire du maroc**, t, i, i, casablancais, 1954, p87.

5)–Julien Charles André et Autres, op, cite, p198.

(6) محمد الأمين محمد، محمد علي الريحاني، **المرجع السابق**، ص234.

(7) عبد الرحمان بن زيدان، **المصدر السابق**، ص116.

(8) عبد الرحمان بن زيدان، **المصدر نفسه**، ص. ص.120.124.

وفي هذا نذكر استخلافه له عام 1863م عند رحيله من مراكش تجاه الغرب قصد تفقد أحوال الرعية قبل بداية حكم "الحسن" بعشر سنوات، حيث أظهر الكفاءة من حسن التدبير والقيام بأعباء الإدارة[1] ، ولم يقف الأمر عند هذا الحد فقط، بل تجاوزه، إذ جرت له اتصالات كثيرة بالقناصل والتجار الأوربيين، كما أقحمه والده في ميدان الإصلاح بإشراكه في المشاريع الاقتصادية الأولى مثل بناء مصنع القطن، ومصنع السكر، طاحونة مائية... الخ[2]، أما في المجال العسكري فنجد أن والده مرّنه كذلك عليه بأن أوكل له قيادة العديد من الحملات العسكرية، فكانت أولها تلك التي شنها في 1861م، بعد أن أختار له والده أعيان الدولة ومهرتها من السياسيين والعلماء وقادة الجيش المحنكين ووجهه إلى القبائل المتمردة[3]، كما قاد حملة أخرى عام 1863م نحو السوس كانت أطول الحملات، وقد استطاع" الحسن" أن يخضع القبائل الثائرة ضد المخزن في كل مرة ويعود بواجب بين المال المفروض عليها، وبهذا أظهر مدى دهائه وقدرته السياسية، فما إن حلت سنة 1873م حتى اكتمل نضج شخصية الحسن الذي تجاوز الأربعين من عمره فأصبح يمتلك من شروط الإمامة ما يمكنه من بسط نفوذه والتحكم في زمام الأمور[4] .

2. البيعة والوفاة:

أ- البيعة:

لما توفي السلطان "محمد بن عبد الرحمان" رحمه الله[5]، اجتمع أهل الحل والعقد من كبار الدولة وقواد الجيش والقضاة والعلماء وأعيان مراكش على بيعة نجله أمير المؤمنين المولى " الحسن"[6] وذلك عشية يوم الخميس 18 من رجب عام 1290هـ[7] الموافق لـ11 سبتمبر سنة 1873م، نظرا لما توفرت فيه من شروط للحكم، ولأن والده رحمه الله كان قد استخلفه في حياته

---

[1] أحمد بن خالد الناصري، **المصدر السابق**، ص128.

[2] محمد معريش، **المرجع السابق**، ص63.

[3] عبد الرحمان بن زيدان، **المصدر السابق**، ص117.

[4] محمد معريش، **المرجع السابق**، ص63.

[5] هو محمد بن عبد الرحمان بن هشام ،عرف بمحمد الرابع (1859-1873) استخلفه والده عبد الرحمان الحكم من بعده، عرفت فترة حكمه محاولات جادة للإصلاح في مختلف المجالات، تعرضت البلاد في عهده إلى حرب تطوان 1860م (للمزيد ينظر: زهية قدورة، **المرجع السابق**، ص539).

[6] أحمد بن خالد الناصري، **المصدر السابق**، ص128.

[7] عبد الرحمان بن زيدان، **الدرر الفاخرة بمآثر فاس الزاهرة**، المصدر السابق، ص64.

وألقى عليه بجميع مهماته فنهض بأعبائها[1]، وقد كان الحسن آنذاك "بأبي ريقي" بضواحي مدينة صويرة[2] يقود جيش السوس[3] ، لما وصله خبر موت والده من طرف "سي موسى" الذي طلب منه التقرب بجيشه لمراكش، أما في مراكش نفسها فقد كتم "سي موسى" خبر الوفاة ودعى للهتاف بحياة "الحسن"[4] الذي وصل مراكش في السابع والعشرين 27 من رجب سنة تسعين ومائتين وألف هجري 1290هـ-1873م، فلما دنى منها خرج للقائه الوزراء والأشراف وسائر أهل مراكش الذين ملئوا تلك البطاح وأخذوا يعزونه ويهنئونه، وما إن استقر بدار الملك حتى قدمت له الوفود من جميع النواحي والأمصار كل وفد يأتي فيهم البيعة والهدايا [5].

و لكن الإقبال على المبايعة لم يمنع من احتمال ظهور مناهضة ومعارضة لبعض القبائل وإعلان التمرد كما هو متعارف عليه عند مبايعة أي سلطان جديد، ولهذا نجد أن أول الصعوبات التي كان على السلطان مواجهتها هي تعميم البيعة والإعتراف بسلطانه [6].

ب- وفاة السلطان الحسن الأول

لقد خرج المولى " الحسن بن محمد بن عبد الرحمان" من مراكش[7]، غَازِيًا قبائل البربر الذين الذين غدروا بأصحابه.

---

[1] محمد معريش، **المرجع السابق**، ص64.

[2] مدينة حديثة بين أسفي وأكادير، شيدت في عهد السلطان محمد بن عبد الله العلوي كانت هدفا لهجوم الأسطول الفرنسي 1260 بعد احتلال فرنسا للجزائر والمدينة ذات طابع حضاري خاص في بنائها وهندستها وقد لعبت دورا هاما في تجارة المغرب خلال القرن 19م استقر بها العديد من ممثلين الدول الأجنبية (للمزيد ينظر: الصديق بن العربي، **المرجع السابق**، ص197).

[3] يطلق هذا باسم على ناحية كبرى من نواحي الجنوب تقع بين الأطلس الكبير والصغير تقدر نحو 20 ألف كلم ويطلق هذا الاسم أيضا على واد ينحدر من الأطلس الكبير يسكن هذه المنطقة عدد من البربر والعرب اشتهرت سوس منذ القرن 16 بالحركة العلمية والمدارس (للمزيد ينظر: الصديق بن العربي، **المرجع نفسه**، ص233).

[4] محمد معريش، **المرجع السابق**، ص65.

[5] أحمد بن خالد الناصري، **المصدر السابق**، ص128.

6) Miege jean louis**, la maroc et l'Europe 1830-1914**, p.u.f, paris, 1961-1964, p45.

[7] هي مدينة بالمغرب الأقصى أسسها يوسف تاشفين 454هـ-1062م كما بنى مسجد معروف باسم جامع يوسف كانت عاصمة المرابطين الموحدين تشتهر بصناعة الجلد والصباغة والمنتوجات فيها مزارع الزيتون وواحات النخيل (للمزيد ينظر: لسان الدين أبي الخطيب السلماني، **المصدر السابق**، ص121).

وابن عمه حسبما ذُكر، حيث كان قد وصل من حركة "تافيلالت"[1] مريضا مرضا خفيفا في الظاهر لكنه مرضا شديدا في الباطن، ورغم هذا خرج من مراكش على ما به من ألم ومرض، وتحمل حتى انتهى به الأمر إلى "وادي عبيد" من أرض "تادلا" فأدركه أجله هناك في الساعة الحادية عشر من ليلة الخميس الثالث من ذي الحجة عام أحد عشر وثلاثمائة وألف هجري الموافق لـ1894م، إذ حمل في تابوت إلى "رباط الفتح"، ودفن بإزاء جده الأعلى "سي محمد بن عبد الله" رحمهم الله جميعا، وكانت مدة خلافته إحدى وعشرين سنة وخمسة أشهر، وكان رحمه الله من خيار الملوك العلويين وأفضلهم بما نشر من عدل وإصلاح بين الرعايا حسبما ذكر "الناصري"[2].

أما عن وفاته فقد كانت بداية لتعقد المشاكل المغربية وازدياد خطرها حتى انتهى إلى إعلان الحماية المشؤومة على المغرب في عهد "مولاي عبد الحفيظ"[3].

---

[1] إقليم بجنوب شرق المغرب الأقصى له شهرة في دباغة وصناعة الجلد حتى أصبح الجلد الفيلالي ذو صيت (للمزيد ينظر: الصديق بن العربي، المرجع السابق، ص98).

[2] أحمد بن خالد الناصري، **المصدر السابق**، ص206.

[3] **أحمد بن خالد الناصري، المصدر نفسه**، ص ص210.209.

الفصل الأول:

الإصلاحات الإدارية و السياسية و العسكرية

أولا: الإصلاحات الإدارية

ثانيا: الإصلاحات السياسية

ثالثا: الإصلاحات العسكرية

أولا: الإصلاحات الإدارية

لقد باشر السلطان" الحسن الأول" في مواصلة المشروع الإصلاحي الذي شرع فيه والده "محمد بن عبد الرحمان"، نتيجة التطورات الهامة التي عرفها المغرب على صعيد العلاقات مع الخارج آنذاك، والتي خلقت نوعا من التأثير في السياسة الداخلية مما دفع إلى القيام بمحاولات التجديد والإصلاح على رأسها الإصلاح الإداري.

1. الجهاز المخزني (الحكومة)

إن أول ما يلاحظ في هذه الفترة أن المغرب الأقصى أصبح ذا حكومة منظمة تشمل عدة وزارات، بعدما كانت إلى عهد قريب لا تتوفر إلا على وزير واحد يكون بمثابة معين للسلطان في أشغاله[1]، فكون المولى " الحسن" مصدر السلطة السياسية والإدارية وأن جُل المسائل تتوقف عليه لم يمنع هذا من وجود جهاز حكومي يتألف من العديد من الموظفين والوزارات الذي أُصطلح عليهم الجهاز المخزني، ووظيفتهم تكمن في مساعدة السلطان وتقديم النصائح والاستشارة إن تطلب الأمر[2].

أ- الوزير الأعظم (رئيس الحكومة)

استحدث منصب رئيس الحكومة "الوزير الأعظم" في عهد السلطان "حسن الأول" وكان أول من استلمه هو" محمد بن العربي الجامعي سنة 1879م، وكان يلتقي مع السلطان مرتين في اليوم ليتشاور معه في قضايا البلاد والمستجدات، فهو رئيس الديوان الحكومي وعضد الدولة[3]، وللوزير الأعظم مهمتان رئيسيان إحداهما سياسية والأخرى إدارية؛ فالأولى تتمثل في الاتصال بالعامة والقبائل لحملها على المشاركة العسكرية في حالة خطر داخلي أو خارجي، أما الثانية أي الوظيفة الإدارية تكمن في تكليفه بتنصيب الإداريين كالقواد والمحتسبين والقضاة، ومن ثمّ وبعد كل هذا إطلاع السلطان بتقرير تام عن هذا الأمر (مهام القادة وأعمالهم)، ولكن زيادة عن هذه الالتزامات

---

[1] عبد الرحمان بن زيدان: **العز والصولة في معالم نظم الدولة**، ج1، المطبعة الملكية، الرباط، 1961، ص135.

[2] محمد معريش، **المرجع السابق**، ص73.

[3] محمد معريش، **المرجع نفسه**، ص77.

للوزير الأعظم ومع التقسيم الجديد في عهد الحسن الأول والذي استبدلت بمقتضاه 80 مقاطعة التابعة للوزير الأعظم لتصبح 330 على رأس كل منها قائد، زادت مهامه أكثر فأكثر [1] .

ب- الوزارات

- **وزارة المالية:**

كان في عهد المولى " الحسن الأول" نظام ووزارة خاصة للمالية، هذا لأنه أولاها عناية و أهمية واضحة، ولقد أطلق على وزيرها "صاحب المال" أو "أمير الأمناء"، الذي من صلاحياته الإشراف على جهاز الأمانة والإطلاع على أعمال الأمناء وأموال المخزن ويساعده في هذا الأمر أمين الداخل و أمين الخراج، و أمين الحسابات؛ إذ كان يتلقى الأول الالتزامات المالية الواردة من ضرائب عادية أو ضرائب مفروضة للخزينة، والثاني (أمين الخراج). يقوم بالإشراف على متطلبات السلطان وإدارته بمعنى مصاريف السلطان والقصر (مرتبات الموظفين، الجيش)[2]. أما الأمين الثالث ألا وهو أمين الحسابات فكان مكلف بمراقبة حسابات الصيانة، وقد أسند منصب وزارة المالية في عهد الحسن الأول إلى السيد "محمد التازي الرباطي".[3]

- **وزارة الخارجية (وزارة البحر):**

لقد أدخلت إصلاحات على الخارجية المغربية وأحدثت لها وزارة على حدا، كان صاحبها مكلف بالنظر في أمور المحميين والوساطة بين السلطان وبين سفراء الدول، وعقد الشروط والمعاهدات بينه وبينهم، وكتابة الرسائل إليهم وإصدار الأوامر للعمال فيما يتعلق بإيالاتهم من دعاوي أهل الحماية ومباشرة أمر كل وافد أجنبي للمغرب، وكان الذي يتولى وزارة الخارجية في العهد الحسيني هو "محمد المفضل" أول وزير للخارجية. وفي هذا الطور صار للمغرب قنصلية بالقاهرة إلى جانب هذه الإصلاحات الشكلية أدخلت على الخارجية المغربية إصلاحات جوهرية كان الهدف منها الدفاع "باللسان والقلم"، وعليه فإن سياسة المغرب الخارجية في هذا الجانب

(1) عبد الرحمان بن زيدان، **العز والصولة في معالم نظم الدولة**، ج1، المصدر السابق، ص136.

(2) محمد معريش، **المرجع السابق**، ص77.

(3) مصطفى الشابي: **النخبة المخزنية في المغرب في القرن 19م**، ط1، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1995، ص33.

عملت للمحافظة على حدود المغرب، مقاومة التدخل الأجنبي، تطوير علاقات المغرب مع بعض الدول [1] .

- **وزارة الحرب:**

تم تحديث هذه الوزارة مؤخرا وهذا نتيجة عدم توفير جيش دائم منظم محترف للمخزن إلا مع النصف الأول من القرن التاسع عشر، وكانت هذه الوزارة تسند شؤونها إلى ما يسمى بـ"العلاف الكبير" أو "كبير العسكر" المشرف على تزويد الجيش بالعدة واختيار المجندين النظاميين وغير النظاميين.

ومع إصلاحات " الحسن الأول" التي عززت الجيش وبعد قناعته بضرورة التحديث العسكري والإصلاح لمواجهة التمرد الداخلي وصد الأطماع الخارجية، الأمر الذي زاد من أهمية هذه الوزارة وفعاليتها.[2]

- **وزارة الشكايات (العدل):**

تمثل العدل في وزير الشكايات أو كاتب الشكايات، الذي يتلقى الاحتجاجات الواردة للسلطان مهما كان الشاكي سواء من القواد أو المواطنين العاميين، وعليه يحضر الحلول بعد ما يناقشها ويعرضها على السلطان، كما يقوم بتعيين موظفي المخزن وبعض الخدم في مناصبهم، وقواد القبائل والشيوخ ويعنى كذلك بمراقبة سير شؤون الولاة المحليين في تدبير أمور المحكومين وما يصدر على ذلك من إنصاف المظلومين في أحوال التعسفات والنزاعات.[3]

وقد كان " الحسن الأول" يخصص يومي الأحد والثلاثاء للحد من المظالم فيصطف أصحابها أمام باب القصر، ثم يقدمون للمثول بين يديه، وما يلاحظ عن المولى " الحسن" غيابه الدائم عن القصر بانشغاله بالحملات العسكرية أكثر من المكوث في القصر وسماعه مظالم العامة [4] .

2. جهاز القصر:

عندما نتطرق إلى دواليب الخدمة في القصر الملكي، نجد أنه كان في خدمة السلطان داخل

---

[1] محمد المنوني: **مظاهر يقظة المغرب الحديث**، ج2، ط1، شركة المدارس للتوزيع والنشر، الدار البيضاء، 1958، ص48.

[2] مصطفى الشابي، **المرجع السابق**، ص44.

(3) محمد معريش، **المرجع السابق**، ص80.

(4) مصطفى الشابي، **المرجع السابق**، ص45.

القصر عدد معتبر من القائمين بالخدمة اليومية، من بينهم العديد من العبيد وتختلف مراتب غير العبيد من مسخر عادي أسفل الهرم إلى من في قمة الهرم وهو الحاجب [1].

أ- الحاجب:

يعتبر الحاجب بمثابة كاتب السلطان ومستشاره السري، كما أنه كان عينا السلطان يخبره بما يحدث خارج القصر، ويساعده في تبليغ الأوامر باختصار للوزراء وغير أنه مكلف بالشؤون الداخلية للقصر[2] إلا أننا نجده يتدخل في قضايا تعود من حيث المبدأ إلى اختصاص الوزراء وهذا إن دل على أمر فيدل على أهمية الحاجب في صف المخزن[3]، وتتجلى هاته الأهمية في أدواره الحاسمة عند اللجوء إليه للحصول على امتياز أو حل مشكل من المشاكل المعروضة على أنظار المخزن، وقد شغل هذا المنصب أحمد بن موسى بعد وفاة والده موسى بن أحمد بداية عام 1879م [4].

ب-قائد المشور:

يلي الحاجب أهمية أو درجة "قائد المشور"، الذي تلقى على عاتقه المهام الحكومية، وهو قائد الرسميات في البلاط، تعمل تحت أوامره عدة هيئات أهمها: المشوريين؛ و ينسبون إلى المشور[5] أي الساحة الكبرى التي بباب القصر السلطاني، وهي الساحة التي تتم بها جميع المراسيم كما يتم فيها استقبال الوفود التي تطلب مقابلة السلطان شخصيا للمشاورة والمناقشة في العديد من القضايا، علما أن هذه المشاورة قد تطول أو تقصر مدتها[6] ويعتبر هؤلاء المشوريين بمثابة أعوان أو أصحاب شرطة من مهامهم إدخال الزوار على السلطان، حمل رسائل من السلطان إلى خدمه في كل النواحي، تبليغ أوامر السلطان كل صبح إلى من هم حاضرون بالمشور وزراء كانوا أو خدم، توزيع مكانين الولائم وغيرها...الخ [7].

---

[1] مصطفى الشابي، **المرجع السابق**، ص39.

[2] محمد معريش، **المرجع السابق**، ص74.

[3] مصطفى الشابي، **المرجع السابق**، ص39.

[4] محمد معريش، **المرجع السابق**، ص74.

[5] عبد الرحمان بن زيدان، **المصدر السابق**، ص133.

[6] مصطفى الشابي، **المرجع السابق**، ص41.

[7] محمد معريش، **المرجع السابق**، ص75.

ثانيا: الإصلاحات السياسية:

1. مؤتمر طنجة 1877م:

كان السلطان "حسن الأول في إطار مشرعه الإصلاحي للميدان السياسي العديد من المجهودات والمبادرات التي تقضي بحفظ سيادة المغرب ومنع أي تدخل أجنبي بأي صفة كان فيها، و لعل من أبرز هاته المحاولات هي تلك التي عرفت 'بمؤتمر طنجة 1877م" ، حيث نجد فيها أن السلطان الحسن أقدم على الاتصال بالدول المعنية بواسطة سفير متجول هو أمينه "محمد الزبدي" الذي تنقل في صيف 1877م لعواصم الدول المعنية فرنسا، بلجيكا وبريطانيا وأجرى محادثات مع حكوماتها من أجل وضع حد لمشكل الحماية القنصلية وضرورة الالتزام بالشروط المنصوص عليها في الاتفاقيات[1] السابقة، وقد عاد السفير "الزبدي" ببعض الوعود من أوربا فاعتمدها السلطان وقرر حينها طرح القضية ومناقشتها مع جميع الممثلين في طنجة، فأصدر أمره لـ"محمد بركاش" بتسليم مذكرة إلى هاته الدول تحتوي على 19 نقطة اقترح فيها الإصلاحات التي يجب إدخالها والتي غايتها إيقاف الدول الأجنبية عند حدود المعاهدات والاتفاقيات[2] المنصوص عليها سابقا دون أي تجاوز، وفي يوم 9 جويلية 1877م عقد المؤتمر تحت رئاسة نائب بريطانيا "جون دريموند هاي" حيث جرى البحث في المذكرة التي قدمها المخزن فيما يقارب عشر جلسات قد اقترح فيها القنصل العام لبريطانيا وضع حدود للحماية القنصلية وقد لاقى هذا الاقتراح تأييدا من بلجيكا–نمسا–ألمانيا... الخ .

وفي المقابل كان قد تم الرفض من طرف فرنسا الأمر الذي جعل نائب بريطانيا "دريموند هاي" يذهب للتذكير أن مصلحة الدول الأوربية ممارسة التجارة في المغرب دون المساس أو الإساءة للإدارة المغربية[3]، ونجد أن المناقشات والمشاورات قد استغرقت فترة طويلة حتى وصلت إلى 1879م، كانت تتم فيما بين الممثلين الأجانب تارة وبينهم وبين وزير الخارجية المغربية "بركاش" تارة أخرى، ولما اتضح أن الممثلين الأجانب غير جادين في عملهم وغير صادقين في

---

[1] فهيمة بوسلت، **التنافس الأوربي على المغرب الأقصى 1880–1912م**، مذكرة لنيل شهادة الماستر تخصص تاريخ معاصر، جامعة محمد خيضر، 2015–2016، ص40.

[2] محمد معريش، **المرجع السابق**، ص204.

[3] فهيمة بوسيلت، **المرجع السابق**، ص.ص44.43.

وعودهم، أوحى السلطان " الحسن الأول" إلى وزيره "بركاش" بالكتابة إليهم –الدول المعنية– من أجل اجتماع أخير في فبراير 1879م[1]، الذي قضى بقبول اقتراح النائب البريطاني "دريموند هاي"[2] الداعي إلى ضرورة زيادة عدد الأفراد أو الممثلين المغاربة والأجانب على حد سواء من أجل الفصل في هذه الشروط والتعديلات وهذا بعقد مؤتمر دولي خارج المغرب، وعليه يمكن القول إلى أن مؤتمر طنجة وصل إلى طريق مسدود، هذا وأن الطرفين المغربي والأوربي تعذر عليهما الوصول إلى حل أكيد يرضي مصالح الجانبين، وعليه سيكون هذا الفشل تمهيدا للعديد من اللقاءات الأخرى أبرزها مؤتمر مدريد 1880م[3].

2. مؤتمر مدريد 1880م:

بعد فشل كل مساعي ومحاولات السلطان " الحسن الأول" على رأسها مؤتمر طنجة 1877م، والرامية لتطويق التدخل الأجنبي بالمغرب الأقصى وحل مشكل الحمايات القنصلية، اتجه السلطان إلى وسيلة أخيرة تقضي بإيجاد توازن بين مصالح الدول الأجنبية دون أن تطغى واحدة على حساب الأخرى.

وعليه عُقد مؤتمر مدريد في 16 ماي 1880م بمدريد و قد رأى فيه السلطان" الحسن" سبيلا ناجحا، نظرا لكونه خرج من المغرب وكذلك لمشاركة العديد من الدول فيه، ولكن بالرغم من أن الرغبة في فض مشكل الحماية الدبلوماسية الذي استفحل كان موجودا سابقا، إلا أن هناك بعض الحوادث عجلت من حدوثه أي المؤتمر نذكر منها:

- إصدام الجالية اليهودية بالسكان في المغرب، وتدخل بريطانيا لصالح اليهود، مما جعل السلطان يصدر مرسوما يتماشى مع مطالب إنجلترا لتدعيم الجالية اليهودية، الأمر الذي أثار حفيظة السكان وسخطهم فتم إلغاءه.

---

[1] محمد معريش، **المرجع السابق**، ص. ص204.207.

[2] جان دراموند هاي ولد في 1 جوان 1816عاش في المغرب ممثلا لبريطانيا العظمى مدة تقرب نصف قرن كانت علاقته طيبة مع المغرب، صداقته متينة مع سلاطينه، كان يعرقل لدى حكومته أطماع الدول الاستعمارية في المنطقة، فكان ينعتونه زملائه في تقاريرهم بالعربي أو المغربي، صاحب فكرة مؤتمر مدير للنظم في مشكل الحماية القنصلية (للمزيد ينظر: عبد الوهاب بن منصور، **مشكلة الحماية القنصلية بالمغرب منشأتها إلى مؤتمر مدريد 1880م**، ط2، المطبعة الملكية، الرباط، المغرب، 1985، ص19.

[3] فهيمة بوسيلت، **المرجع السابق**، ص45.

– مقتل أحد اليهود في فاس أثناء الاحتفالات الدينية وهي النقطة التي أفاضت الكأس[1].

وعليه كنتيجة لهذا الوضع اقترحت الحكومة البريطانية مؤتمر من طرف ثلاثة عشر دولة منها المغرب وهذا الحضور للكيان المغربي في حد ذاته يعتبر ظفرا عظيما لدبلوماسية السلطان "الحسن الأول" ونجد أن فرنسا حاولت عبثا الحيلولة دون انعقاد المؤتمر لأنها شعرت بأن من شأن هذا المؤتمر أن يزعزع مركزها ويعارض مصالحها في المنطقة تلك التي كانت تزداد يوما بعد يوم[2] . لكن دون جدوى فقد تم عقد المؤتمر منذ 19 ماي 1880م خلال 16 جلسة فرض في بدايتها على المؤتمر أن يصادقوا دون مناقشة على جميع النقاط التي نوقشت في اجتماعات طنجة بين ممثلين الحكومة المغربية والممثلين الأجانب، أما المسائل التي لم يبث فيها النظر سابقا للوصول إلى حل جذري يوفق فيها بين الطرفين– الأوربي والمغربي– فسيتم مناقشتها في المؤتمر[3].

ونذكر من أهم القضايا التي عالجها المؤتمر في موضوعين رئيسيين هما:

– مسألة إمتيازات الأجانب الشخصية التي تركت الباب مفتوح لتدخل الهيئات الدبلوماسية الأجنبية بالمغرب.

– جواز تملك الأجانب للعقارات إذا فتح المؤتمر الباب أمام جميع الدول المشتركة فيه تطبيقا لمبدأ المساواة مما جعل السلطان الحسن يعتقد أنه حفظ البلاد من أطماع فرنسا واسبانيا حتى لا ينفردا بالنفوذ لوحدهما بناءا لاعتماده سياسة التوازن في المصالح بين الدول.[4]

---

[1] صلاح العقاد، **المغرب العربي في التاريخ الحديث والمعاصر الجزائر تونس المغرب الأقصى**، ط6، مكتبة الأنجلو المصرية، 1993م، القاهرة، ص ص112.113.

[2] عبد الوهاب بن منصور، **المرجع السابق**، ص41.

[3] عبد الوهاب بن منصور، **المرجع نفسه**، ص95.

[4] صلاح العقاد، **المرجع السابق**، ص213.

أما سير المؤتمر فقد كان عبارة عن قاعة أو ميدان يحركها "محمد بركاش"[1] ممثل المغرب الأقصى ووزير الخارجية الفرنسي "أميرال جورجيس"[2]، أما باقي الدول المشاركة في المؤتمر كانت عبارة عن عدد من المتفرجين فقط، وقد نجد أن "محمد بركاش" سعى جاهدا لإخراج السماسرة من حظيرة المحميين وهذا بأن يؤدون الضرائب ويخضعون لسلطة المخزن وتطبق عليهم أحكام الشريعة كباقي المواطنين، فضلا عن رفضه لاختيار التجار الأجانب لسماسرتهم اجتنابا لأي إطلاع أجنبي عن أسرار الدولة، وفي المقابل عمل ممثل فرنسا "جورجيس" على عدم التنازل عن أيٍ من الإمتيازات لفرنسا بالمغرب مصرا على استحالة استغناء فرنسا عن وساطاتها في الأسواق الداخلية [3] .

انقضى مؤتمر مدريد في 3 يوليو–جويلية– 1880م بعدما وقّع المغرب ومفوضو الدول التي شاركت فيه على اتفاقية دوّنت قانون الحماية والتجنيس في فصولها الثمانية عشر، فخاب ظن المغرب من جديد حيث لم تحصل على شيء مما كان ترغب فيه بالخصوص في جانب سحب الحمايات التعسفية وعدم تجاوز المعاهدات والاتفاقيات وتأويلها تأويلا يسند على القوة والتهديد [4] .

الأمر الذي جعل السلطان الحسن الأول يبحث على بديل يكون إلى جانبه ومنه عمل على توثيق علاقته بالدولة العثمانية، فأرسل للباب العالي يطلب تبادل التمثيل الدبلوماسي، وهو ما أثار حفيظة الفرنسيين[5]، وفي الأخير وبالرغم من هاته النتائج للمؤتمر التي تعتبر غير مرضية نوعا ما للحكومة المغربية إلا أننا نستطيع القول بشكل عام إن اتفاقية مدريد تمكنت من إحباط كل

---

[1] هو محمد بن عبد الرحمان بركاش ولد (1255هـ–1810م) بالرباط ينتمي إلى أسرة أندلسية اشتغل في صغره بالتجارة في مدينة جبل طارق، تقلد فيها العديد من المناصب أهمها نائب السلطان للشؤون الخارجية بطنجة 1860، ممثل المغرب في مؤتمر مدريد 1880 (للمزيد ينظر: عبد الوهاب منصور، **المرجع السابق**، ص20).

[2] رجل سياسي فرنسي ولد في 1859 توفي بباريس 1944 من طرف مناضل من حزب اليمين المتطرف، شغل عدد من المناصب منها: برلماني 1893–1898رئيس حزب الاشتراكيين 1902–1904 (للمزيد أنظر للرابط: .http//www.alhiwar.internet/sps.com، على التاريخ 2019/15/05، على الساعة 18:07).

[3] عبد الوهاب منصور، **المرجع السابق**، ص97.

(4) عبد الوهاب بن منصور، **المرجع نفسه**، ص103.

(5) صلاح العقاد، **المرجع السابق**، ص214.

تدخل أجنبي للمغرب، ناهيك على أنها حفظت له استقلاله و حمته لحد ما، وهذا لغاية أوائل القرن 20م [1].

ثالثا: الإصلاحات العسكرية

1. الجيش العسكري

يمكن القول بأن إصلاح الجيش المغربي كان أول إصلاح تناوله جهاز الدولة المغربية، فبعد موقعة "أسلي" بدأت المحاولات وهذا طبعا أيام السلطان "عبد الرحمان"، حيث نظمت في عهده بعض فرق من الجيش على نسق نظام الجيش العثماني الحديث، وفيما بعد اشتهر هذا الجيش النظامي ليصل صيته لـ"محمد علي باشا" والي مصر، الذي بدوره منح للجيش 35 كتابا فنّيا [2].

و ما إن تسلم المولى "حسن الأول" الحكم، حتى حظيت القوة العسكرية باهتمام كبير اعتقادا منه أن أفضل طريقة للحفاظ على أمن المغرب الداخلي والصمود أمام الخطر الخارجي هو تطوير الجيش وتحديثه [3]، وقد كانت قيادة الجيش ترجع في الواقع إلى السلطان، إذ كان هو القائد الأعلى المشرف على توجيه وقيادة الحركات المهمة من جهة، وترتيب وعرض الجيش بنفسه من جهة أخرى، فالعلاّف الذي كان بمثابة وزير الحرب اقتصر عمله على أن يكون صلة وصل بين السلطان والجيش فقط، وهذا من حيث التموين وتنفيذ الأوامر السلطانية وتعيين الضباط والقواد، كما كان يطلع السلطان على أحوال الجيش من خلال سجل العسكر الذي يقدمه له يوميا وهذا بعد إمضائه من طرف الوزير الأعظم [4].

ولقد نجد أن مباشرة السلطان "حسن الأول" بمتابعة الجيش لم تمنعه من استخدام أساليب أخرى لتقوية الجهاز العسكري مثل استجلاب خبراء أوربيين وإرسال بعثات عسكرية، فأول ما قام

---

(1) حزب الإستقلال، **المغرب الأقصى مراكش قبل الحماية عهد الماية بعد الحماية**، (د.ط)، دار المطبعة العربية للنشر والتوزيع، مصر، د.ت، ص41.

(2) محمد المنوني، **المرجع السابق**، ص78.

(3) محمد معريش، **المرجع السابق**، ص168.

(4) محمد معريش، **المرجع نفسه**، ص170.

به السلطان هو استقدام مدربين عسكريين فرنسيين، اسبانيين، ألمانيين، إنجليزيين، وتقنيين إيطاليين، تجنبا للوقوع تحت هيمنة دولة عظمى واحدة وهذه نقطة تحسب له [1].

واشتهر من هؤلاء الخبراء "ماك لين" الإنجليزي[2] قائد الجيش النظامي و"ايركمان" الفرنسي قائد جيش المدفعية، أما فيما يخص البعثات العسكرية فقد بعث السلطان "الحسن الأول" العديد من الشباب لأوربا قصد دراسة المناهج العصرية، كما نظم مدرسة المهندسين ومنه فإن أهم بعثة تلك التي وجهت إلى جبل طارق والتي كانت بتأثير من "جون دراموند هاي" 1875م، وقد بدأت البعثة تمارس نشاطها بقيادة الضابط ماكلين 1878م إلى أن تحولت بدورها لتدريب فرقة منظمة، صارت فيما بعد حرسا للسلطان وقد بلغ عدد طلاب البعثات التكوينية إلى أوربا ما بين 1874-1884م نحو ثلاث مئة وخمسون 350 طالبا [3].

وكما هو متعارف عليه لا يوجد تدريب دون سلاح أو جيش دون مؤونة عسكرية، فمن أولى اهتمامات السلطان "الحسن الأول" في هذا الصعيد هي بناء المعامل الحربية، فقد قامت في البلاد حركة نشيطة لبناء المصانع الحربية بنى منها السلطان " الحسن الأول" دار السلاح بفاس التي أسندت إدارتها إلى ضباط إيطاليين، والتي أسسها المهندس الإيطالي "لوطري" 1305-1308هـ إلى أن انتهى العمل منها عام 1309هـ، فكانت افتتاحها مهرجان عظيم أقامه السلطان بعد احتفال المولد النبوي الشريف[4]، كما كلف مهندسا ألمانيا ببناء برج بالرباط ناهيك عن معمل صنع القرطوس بمدينة مراكش، والذي يتراءى للعيان مظهره الخارجي الفخم حتى يعكس أهميته كأكبر معمل بالمغرب في عهد "الحسن الأول" كما نجد أن هؤلاء التقنيون أنشأووا مصنعا للسلاح اسمه دار المكينة سنة 1880م وجهزوه بمعدات قوية ومن التنظيمات التي صار عليها المولى

---

[1] محمد علي عامر، محمد خبر فارس، **المرجع السابق**، ص68.

[2] ولد باسكتلندا اسمه الكامل هاري أيبيري ماكلين Harry aubery Maclean ، مارس مهامه العسكرية في كندا ثم انتقل لجبل طارق 1876، له دور أساس في الإصلاحات العسكرية (للمزيد ينظر: مروان بوزكري، **التنافس الفرنسي والإنجليزي على المغرب الأقصى 1873-1894**، مذكرة لنيل الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر 2009-2010، ص60).

[3] محمد المنوني، **المرجع السابق**، ص ص84.85.

[4] محمد معريش، **المرجع السابق**، ص168.

"الحسن الأول" في هذا الصدد هو تخصيص جيش كل جهة بدفتر على حدا لتسجل به أسماء المنخرطين في الخدمة العسكرية كل واحد باسمه ونسبه ووضعه وموقع سكناه وحرفته [1].

وقد قسم الجيش إلى ثلاث قيادات كبرى؛ قيادة فاس، قيادة مراكش، قيادة تافيلالت ، وعلى رأس كل قيادة أحد إخوة السلطان ويقوم القواد بتجنيد الجيش بمعدل فرد من كل أسرة، حيث يتشكل الجند من ثلاث مصادر[2]؛ الأول هم قبائل المخزن وهي القبائل البدوية التي تدين بالطاعة للمخزن منها (قبائل الوداية، الشراردة، الرحامنة، الشراكة)، والمجندة باستمرار للحفاظ على الأمن الداخلي والخارجي مقابل استغلالها للأراضي المخزنية التي تسكنها[3]، وقد كانت هذه القبائل تشكل مستعمرات عسكرية على أطراف المدن السلطانية تعمل على إخضاع القبائل المحيطة بها إلا أنها بقدر ما كانت عنصر من عناصر الأمن أصبحت في آخر المطاف عنصرا من عناصر الفوضى حيث بدأت تتدخل في شؤون المخزن.

أما المصدر الثاني للجيش فهم النواب وهي القبائل الملزمة بدفع الضرائب[4] ، وعليه كانت تقدم طابورا من أعضائها يضم غالبا خمس مئة (500) فرد ليكونوا تحت نفوذها ويحملون اسم العسكر أي الجنود الذين يتجندون طوال حياتهم لحماية المخزن سواء في الحرب أو السلم، وبهذا نكون قد وصلنا للمصدر الأخير ألا وهم المتطوعين الذين كان أغلبهم من أهل السوس، وفيما يخص وحدات الجيش فكان يتشكل من ثلاث فرق؛ وهي المشاة والفرسان والمدفعية، فأما جيش المشاة يتألف من العسكر والمتطوعين حيث ينقسم لعدة طابورات لكل طابور قائد وخليفة له كما كان كل طابور يتوزع في مدينة رئيسية كمراكش وطنجة مثلا فيحمل اسمها[5]، أما الفرسان فتقدمهم قبائل المخزن يقومون بحراسة السلطان في إقامته أو في حمالاته وكان من مهامهم أيضا مصاحبة الأوربيون أو الوزراء وإلقاء القبض على العناصر الثائرة، ومساندة بعض القواد، تعزيز جيش المشاة في حالة الحرب وهذا لمهارتهم، أما في حالة السلم فيوزعون على المدن المخزنية

---

(1) محمد علي عامر، محمد خير فارس، **المرجع السابق**، ص68.

(2) محمد معريش، **المرجع السابق**، ص81.

(3) عبد الحق المريني، **الجيش المغربي عبر التاريخ**، ط5، دار المعارف للنشر، الرباط، 1997، ص85.

(4) محمد معريش، **المرجع السابق**، ص82.

(5) عبد الحق المريني، **المرجع السابق**، ص86.

ليقومون فيها بدور رجال الدرك، وقد يتراوح عددهم بين أربع مئة وخمس مئة 400-500 فارس، ويلي الفرسان جند المدفعية أو الطبنجة المتكونة من فيلقين على رأس كل منها قائد وقد كان هؤلاء الطبنجية موزعون على المدن الساحلية كالعرائش[1] والدار البيضاء[2]و غيرها[3].

أما لباس الجيش فقد نجد أنه كان يشتمل على كبوط وسترة –من قماش ناعم صوف كان أو قطن– ذات لون أحمر أزرق أخضر، وسروال قطني تبغي اللون وبلغة صفراء مع قبعة حمراء، ويوزع اللباس جزئيا أو كليا في كل عيد من الأعياد الدينية الثلاثة صغير، كبير، النبوي.[4] وبخصوص العَلَم العسكري المغربي فقد جعله العلويين أخضر ثم أحمر، أضاف إليه مولاي "يوسف الخاتم السليماني" الأخضر، وجرت العادة أن توضع أعلام الجيش ولا تخرج منه إلا عند تحركه في مناسبة من المناسبات، إذ تنصب فوق جميع الأبراج وفوق المراكب الشراعية المخزنية عندما تخرج لعرض المحيط، وكان السلاطين العلويين حينها يأمرون كذلك بربط نسخ من كتاب البخاري مع الأعلام عندما تنصب على سفن الأسطول[5]، ولما صادفت هاته الخطوات والتقنيات طريق السلطان "الحسن الأول" أثناء بنائه التحديثي العسكري هذا كان لا بد من أموال طائلة، فالبعثات الطلابية وشراء الأسلحة والبواخر والآلات كلفت منه الآلاف من الفرنكات سنويا [6] ،التي ،التي كانت تسدها مداخيل الديوانة حيث تمول جزءا كبير من نفقاتها، إذ كان كل مرسى يتكلف بأداء ثمن ما يرد عليه من العتاد العسكري، أما إذا كانت التجهيزات تفوق إمكانيات المرسى الذي تصل إليه تؤمر المراسي الأخرى بالتعاون معا [7] .

---

[1] مدينة متوسطة تقع على الشاطئ الأطلنطي بنيت سنة 897هـ واحتلها الأسبان 1019هـ حررها المولى إسماعيل 1101هـ لها دور في عصر السعديين، حول المدينة توجد عدة جنان وحدائق تقع على بعد 91 كلم من طنجة (للمزيد ينظر: بن العربي صديق، **المرجع السابق**، ص200).

[2] عاصمة المغرب التجارية وميناء المغرب الأول أكبر مدينة بالشمال الإفريقي احتلتها القوات الفرنسية 1907م استقرت بها معظم الدور والبنوك والشركات حولها عدة أحياء كبرى (للمزيد ينظر: بن العربي الصديق، **المرجع نفسه**، ص129).

[3] محمد معريش، **المرجع السابق**، ص83.

[4] محمد معريش، **المرجع نفسه**، ص79.

[5] عبد الحق المريني، **المرجع السابق**، ص81.

[6] محمد معريش، **المرجع السابق**، ص80.

[7] عبد الحق المريني، **المرجع السابق**، ص83.

و فيما يخص وقت قيام السلطان "الحسن الأول" بحملاته فالمترقب يجد أن معظمها كان في فصل الصيف وهذا طبعا لم يكن بمحض الصدفة بل لاعتبارات منها: طول النهار، وفرة المحاصيل الزراعية، جفاف الأودية..، مما يسهل عليه عملية التنقل، ومنه فإن إستراتيجية السلطان قائمة على تركيز إخضاع قلب المغرب دون نسيان الأطراف البعيدة.

وهكذا لم تكن تمر سنة أثناء حكم السلطان "الحسن" دون أن يقدم على حملة ضد قبيلة تتطاول أو ترفض دفع الضرائب، مما جعل الكثير من المؤرخين يذكرون بأن السلطان "حسن الأول" كان على ظهر جواده [1].

2. الأسطول البحري:

بعد أن تسلم "الحسن الأول" الحكم صارت الأمور في اتجاه آخر[2]، حيث نرى أنه إلى جانب اهتمامه بالجيش البري حرص على تطوير وتنظيم القوة البحرية تنظيما حديثا ليسد من خلاله ضياع الأسطول المغربي أيام السلطان "عبد الرحمان بن هشام"[3] ، وعليه فقد باشر في تحصين الثغور وبناء الأبراج، فجلب لذلك أمهر المهندسين الأجانب ألمان وإنجليز... الخ، وعين بكل مرسى مهندسا[4]، وقام بجرد لكل المواقع البحرية التي لها أهمية إستراتيجية لنقل العتاد المستورد[5]، ولكن أهم خطوة سجلها عهد السلطان "حسن الأول" في التاريخ العسكري هي اقتنائه لعدد من السفن والبواخر الأوروبية التي وزعها على مراسي المغرب باختلاف أحجامها، وهذا لحماية الشواطئ المغربية من الهجومات الخارجية، ناهيك عن أنه أوصى على صنع بعضها وفق تصميم خاص[6] فكان منها:

---

[1] محمد معريش، **المرجع السابق**، ص81.

[2] بهيجة سيمو، **الإصلاحات العسكرية بالمغرب 1844-1912**، ط1، منشورات اللجنة المغربية للتاريخ العسكري، سلسلة رسائل وأطروحات رقم1، الرباط، 2000م، ص325.

[3] محمد المنوني، **المرجع السابق**، ص84.

[4] عبد الرحمان بن زيدان، **إتحاف أعلام الناس بجمال حاضرة مكناس**، ج3، المصدر السابق، ص471.

[5] بهيجة سيمو، **المرجع السابق**، ص327.

[6] محمد المنوني، **المرجع السابق**، ص85.

أ- بواخر الحسيني:

كان شراء مركب حربي من أوربا مرتبطا بضرورات ملحة لم يعد في مقدور المخزن تجاهلها، خاصة بعد الصعوبات التي كان يواجهها في السوس الأقصى الذي كان محط أطماع أجنبية وتمردات لأعيان محليين، وكذلك عمليات تهريب الأسلحة والذخيرة التي تفاقمت في المنطقة مشكلة مصدر انشغال آخر للسلطان[1]، ولذلك فكر السلطان في امتلاك سفينة أطلق عليها اسم "الحسيني" من إنجلترا سنة 1885م[2]، وهذا للتمكن من مواجهة الضغط، وفعلا بدأت الاتصالات الأولية مع بريطانيا حتى تم الاستقرار على سفينة مصنوعة بـ"مدلسمبورغ"(Middelesemboroug) حمولتها ألف وخمسمائة وسبعون 1570 طن قوة محركها مئة وثلاثون 130 حصانا، خصصت لنقل الجنود المعنيين في الثكنات البعيدة بالإضافة إلى حمل العتاد ومواد التموين والمساجين... الخ من إنجازاتها اعتراض سفينة بريطانية 1898 تدعى التروماالاين (The tourmaline).[3] .

ب- الساحب التريكي:

كان ساحبا صغير من 18 عشر طن وقوة محركه مائة وخمسين150 حصان، يتكون طاقمه من ثلاثة ألمان وبعض المغاربة كُلّف بنقل حمولة الدقيق إلى فيالق[4]، وقد اشتراها السلطان الحسن الأول من ألمانيا سنة 1890م وكانت مستقرة بميناء العرائش [5].

ت- البشير:(مشروع طلب مركب حربي من إيطاليا)

حدث أن أثناء استقبال السلطان "الحسن الأول لأحد الممثلين بطنجة أتيحت له الفرصة أن عرض فكرة التعاون في المجال العسكري، خاصة وأنه يحرص على تنويع شركائه في هذا المجال لتجنب حدوث سيطرة مطلقة لهذا الطرف أو ذاك، وعليه وافقت إيطاليا على الأمر وقامت بتخطيط لتصميم هاته السفينة بشكل أولي تم تعديله فيما بعد؛ أي إعادة صياغة التصميم نظرا لأن السلطان لم يكن على استعداد لدفع كلفة التصميم الأول، وبالفعل تمت التغيرات من أجل هذا،

---

[1] بهيجة سيمو، **المرجع السابق**، ص334.

[2] عبد الحق المريني، **المرجع السابق**، ص85.

[3] بهيجة سيمو، **المرجع السابق**، ص334.

[4] بهيجة سيمو، **المرجع نفسه**، ص337.

[5] عبد الحق المريني، **المرجع السابق**، ص85.

والتي كانت كالآتي سفينة حربية من نوع الزوارق المسلحة لها هيكل فولاذي سعتها 1100 طن لها قوة محرك ألف (1000) حصان، وفي هذا يجب الإشارة أن الاتفاقية كانت سرية في بادئ الأمر رغبة للطرفين[1] وقد تم العمل بهذا المركب سنة 1890م بعد أن زودته الحكومة المغربية بـ22 مدفعية وبمائة من البحارة لمقاومة القراصنة وكان مقره في ميناء طنجة.[2]

ث- الساحب التركي:

مركب حربي صمم خصيصا لنقل العتاد المستورد من ألمانيا، يزن ثمانية عشر طن (18 طن، وقوة محركه مئة وخمسون 150 حصان بحري، وقد وضع هذا الساحب التركي في خدمة كل المراسي وكلف على الخصوص بجلب المدافع الألمانية إلى البرج الألماني "برج الرباط" بهدف حمايته ويتكون طاقمه من ثلاثة من الألمان وبعض المغاربة [3].

[1] بهيجة سيمو، **المرجع السابق**، ص338.

[2] محمد معريش، **المرجع السابق**، ص84.

[3] بهيجة سيمو، **المرجع السابق**، ص333.

الفصل الثاني:

الإصلاحات الإقتصادية و الأجتماعية و الثقافية

أولا : الإصلاحات الإقتصادية

ثانيا: الإصلاحات الإجتماعية

ثالثا: الإصلاحات الثقافية

أولا: الإصلاحات الاقتصادية

مما لا شك فيه أن لكل دولة أو فترة تاريخية منعرجات وتغيرات في مسارها الاقتصادي، والتي بدورها تعبر عن مدى ازدهار واستقرار تلك الفترة أو العكس –فشلها وعجزها– وهذا بالطبع تتحكم فيه معايير مختلفة نذكر منها: النشاطات الاقتصادية (زراعة، صناعة، تجارة) اكتفاء، تنوع المحاصيل ...الخ، العملة.

1. النشاطات الاقتصادية

إن نظرنا للنشاط الاقتصادي بالمغرب الأقصى نجد أنه لم يعرف تطورا كبيرا في هياكله طيلة القرن 19م، غير أنه تعرض لهزات خطيرة في النصف الثاني منه لاسيما مع زيادة التغلغل الأوربي، فالزراعة مثلا كانت تمثل النشاط الرئيسي لأغلبية السكان إذ نجد أنها كانت رهينة الظروف الطبيعية فقد امتاز الإنتاج بالازدهار تارة وبالانكماش تارة أخرى، نتيجة عدم خصوبة التربة حيث اقتصرت المناطق الصالحة للزراعة على المدن الساحلية الدار البيضاء والصويرة، التي امتازت بجودة أراضيها، وبالرغم من هذا فإن الزراعة بشكل عام كانت ذات صبغة معاشية فحسب، تعاني من التأخر ومن ضغوط الضرائب المفروضة على المزارعين[1]، أما إذ تحدثنا على ملكية الأراضي فيعود القسم الأكبر منها إلى المخزن، ثم يليهم الخواص وأملاك الحبوس، كما لا ننسى أن جزءا كبير من أراضي المخزن تابعة إما لقبائل تم توطينها أو ترحيلها أو لمجموعة من الجيش النظامي أو لقبيلة تقطع أرضا مقابل حماية المنطقة وهكذا أغلب الملكيات جماعية[2].

وقد شهد النصف الثاني من القرن التاسع عشر ميلادي 19م اهتمام متزايد بالري والزراعة لاسيما في عهد السلطان "محمد بن عبد الرحمان"[3]، حيث تنوع الإنتاج الزراعي فيأتي محصول الحبوب في مقدمته القمح، الشعير، الحنطة إلى جانب الكروم وكذلك الخضر نذكر منها: الجزر، الكرنب، اللفت...الخ، كما عرفت زراعة القطن توسعا هاما منذ عهد السلطان "محمد" واستمر

---

(1) محمد معريش، **المرجع السابق**، ص139.

(2) إبراهيم حركات، **المغرب عبر التاريخ**، ج3، ط2، دار الرشاد الحديثة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، 1994، ص497.

(3) إبراهيم حركات، **المرجع السابق**، ص494.

تخصيص ساحات هامة لها في عهد "الحسن الأول" وتوسيع زراعتها لأهمية هذه الزراعة ووزنها في المبادلات التجارية [1]

أما الأشجار المثمرة فكانت بدورها متنوعة أبرزها شجر الزيتون التي تغطي مساحات كبيرة خاصة على السواحل، وكذلك بمنطقة الريف ناهيك عن زراعات أخرى أقل قابلية نذكر منها الحناء، الكتان، الحشيش "الأفيون"[2].

وعلى العموم فإن المحاصيل الزراعية تتحكم فيها عوامل عديدة كما سبق أن ذكرنا من مطر، خصوبة التربة...الخ، علاوة على هذا نجد عدم اهتمام المخزن بشكل كافي ومطلوب بالشؤون الزراعية، ناهيك عن قابلية ورغبة الفلاح البسيط نفسها التي كانت شبه منعدمة اقتناعا منه أنه سيحرم من تعبه وكده نتيجة لما كانت تفرض عليه من ضرائب. [3]

وبالتأكيد لا يمكننا أن ننسى الأزمات الخطيرة التي عرفها الاقتصاد الزراعي إبان عهد "الحسن الأول"، والتي أثرت بطبيعة الحال على المنتوج نذكر أهمها: أزمة 1878م؛ إذ بدأت الأزمة عند خريف سنة 1877م بأقاليم الرحامنة والسوس...الخ فكان موسم الحصاد لصيف 1878م رديئا جدا، ومما زاد الوضع سوءا موجة الجراد التي عرفتها المنطقة في نفس السنة والتي أتت على ما تبقى من أخضر ويابس، وسرعان ما أنتج على هذا الوضع ارتفاع في الأسعار التي وصلت إلى 300% في بضعة أسابيع ولم تقف حدة الأزمة إلا في سنة 1882م لتنتهي بشكل جذري في عام 1885م.

أما المجال الصناعي فقد كان قائما على الطراز التقليدي ولم يسجل له تطورا ملحوظا، هذا و إن كانت كل الوسائل والطرق بدائية رجعية فحسب[4] فالبرغم من غناء المغرب بثروات معدنية ذات أهمية بالغة منها: الحديد، الفضة و الذهب في مناطق "درعة" و "السوس" إلا أن استغلال هذه النعمة كان جزئيا وبشكل غير متحدث أو متطور[5] ومع ذلك فإننا نجد بعض الصناعات

---

[1] محمد معريش، **المرجع السابق**، ص140.

[2] إبراهيم حركات، **المرجع السابق**، ص498.

[3] محمد معريش، **المرجع السابق**، ص141.

[4] محمد معريش، **المرجع نفسه**، ص142.

[5] مصطفى الشابي، **المرجع السابق**، ص142.

والتي عموما تتركز في أكبر المدن مثل فاس التي تعد أكبر مدينة للصناعات اليدوية ومن منتوجاتها حوائك الصوف، الطرابيش، البلاغي والسروج[1] ، ويلي فاس مدينة تطوان التي ذاع صيت صناعتها اليدوية وبلغت أوجها خاصة في القرن 19م، ومن منتوجاتها خيام لتموين الجيش وكذلك الآلات الحديدية كصفائح الخيل والمسامير فضلا عن الأخيرة وسلاح القنابل والمكاحل[2]، ولعل قناعات السلطان بأهمية الصناعة وحاجة البلاد والاقتصاد المغربي لها جعلته يقوم بعدة محاولات وخطوات في هذا الميدان في إطار مشاريعه الإصلاحية، منها الاهتمام بالبحث عن المعادن واستخراجها بالاعتماد على خبراء وفنيين مغاربة ومن أمثلة هذه المحاولات نذكر: استخراج الفحم بضواحي طنجة عام 1883م ثم الرصاص والنحاس في منطقة السوس والفحم بضواحي سبتة[3].

ومن مجهودات السلطان "الحسن" كذلك بنائه لمصانع مختلفة الاختصاصات كبناء معمل الزجاج بضواحي طنجة 1875م وإعادة تشغيل معمل السكر 1893م ومعمل القطن في مراكش 1891م[4].

وكانت التجارة المغربية في عهد "الحسن الأول" مقسمة إلى قسمين رئيسين هناك التجارة على المستوى الداخلي والتجارة على المستوى الخارجي، فالأولى تتمثل في الأسواق الأسبوعية بالبوادي والأسواق اليومية بالمدن والمعارض أكبر خطوطها آنذاك والتبادل الممتد من تطوان[5] إلى فاس ثم ثم تافيلالت، الذي كان أكبر خط تجاري ويليه أهمية الخط الممتد من ناحية الأطلس إلى سوس،

---

(1) إبراهيم حركات، **المرجع السابق**، ص502.

(2) مصطفى الشابي، **المرجع السابق**، ص143.

(3) مدينة فينيقية الأصل استوطنها القرطاجيون واستعمرها بعدهم الرومان وغزاها الوندال وهي ميناء عظيم على شاطئ المتوسط يقطنها نحو 60 ألف من الاسبان ونحو 5 ألاف مغاربة لعبت المدينة دورا عظيما في تاريخ المغرب الإسلامي، نبغ بها عدد من العلماء والأدباء أول مدينة إسلامية استولى عليها البرتغال بالمغرب بها عدة معالم أبراج مساجد حمامات وفي الوقت الحالي هي جيب من الجيوب الاستعمارية الاسبانية بالتراب المغربي (للمزيد ينظر: بن صديق العربي، **المرجع السابق**، ص225).

(4) محمد معريش، **المرجع السابق**، ص143.

(5) أسست تطوان في عهد يوسف المريني 685هـ ثم اتسعت عمارتها لغاية صدر القرن 9هـ هاجر إليها الأندلسيون جددوا بنائها، أصلحوا مرافقها، احتلها الأسبان 1286هـ في قلبها توجد القصبة كما توجد العديد من المآثر التاريخية والمدارس، المعاهد الحدائق (للمزيد ينظر: الصديق بن العربي، **المرجع نفسه**، ص101).

أما التجارة الثانية وهي الخارجية فتتفرع بدورها إلى تجارة القوافل (الصحراء) وتجارة البحر (الدول الأوربية).

وفيما يخص السلع المصدرة فكانت كثيرة ومختلفة من فترة لأخرى ففي فترة السبعينات كان المغرب يصدر الحبوب من فول وذرة وقمح وكذلك أصواف، نحو إنجلترا وإسبانيا بلجيكا، أما في فترة الثمانينات والتسعينات فكان يصدر لأوربا زيت الزيتون الأصواف الزرابي كذلك القمح والشعر...الخ[1] ، و هاته التبادلات التي نلاحظ أنها ازدادت خاصة ما بين 1830م إلى نهاية القرن 19 بنحو عشرة أضعاف، تفسر انفتاح المغرب على أوربا خاصة في الميدان التجاري[2] ، هذا الانفتاح الذي أسفر على بعض المحاولات الإصلاحية للسلطان "الحسن الأول" في إطار معالجته للأوضاع الاقتصادية منها: إسقاطه للمكوس من سائر الأبواب الخاصة سنة 1886م ، خاصة بعد أن أفتى العلماء بتحريمها إذ أطلقوا عليها مكوس الحرام[3]، كما حاول إسقاط ضريبة الإعمار؛ وهي الضريبة المفروضة على السلع المصدرة إلا أنه عدل عنها نتيجة لما كان سينجم عنها من حرب مع أوربا هو بغنى عن أضرارها وخسائرها[4]، وبطبيعة الحال لكل مشروع أو تعديل جديد هدفا يسمو من أجله، ومن أهداف هذه المحاولات التجارية الإصلاحية نجد العمل على مواجهة الرغبة الملحة التي يبديها قناصل الدول الأوربية في فتح السوق المغربية على مصراعيها لتحقيق أمرين هما: الحصول على المواد الأولية لتمكين مصانعهم من رفع الإنتاج، وإيجاد أسواق لمزيد من الربح.[5]

2-العملة

أمام هذا الوضع توصل السلطان "الحسن الأول" إلى نوع جديد من الإصلاح إذ أقدم على تجربة قل نظيرها تمثلت في ضرب النقود المغربية بأوربا على أساس الوزن الشرعي[6] مساوية

---

[1] محمد معريش، **المرجع السابق**، ص504.

[2] إبراهيم حركات، **المرجع السابق**، ص114.

[3] مصطفى الشابي، **المرجع السابق**، ص122.

[4] محمد منوني، **المرجع السابق**، ص122.

[5] محمد القبلي، **تاريخ المغرب تحيين وتركيب**، ط1، منشورات المعهد الملكي، الرباط، 2011، ص490.

[6] محمد القبلي، **المرجع نفسه**، ص493.

للفرنك الفرنسي وهذا سنة 1881م، وقد عرفت هذه العملة بالسكة الحسينية[1]، وكانت تتكون من خمس وحدات نقدية فضية منها: الريال، النصف، الربع...الخ، وعليه تم تأسيس ماكينة السكة بفاس 1891م وهي دار الضرب التي تولت إصدار بعض القطع النحاسية والفضية [2].

أما تصميم العملة فقد شرح السلطان "الحسن الأول" تصميمها في رسالة بعث بها للنائب السلطاني بطنجة، إلا أن هاته المعايير لم تنفذ نظرا لأن العملة ضربت بباريس حيث نجد أن الاتفاق كان قائم على أن تكون العملة مساوية للفرنك الفرنسي، في حين نرى أن العملة المغربية فاقته وهو ما أدى إلى أزمة وكارثة اقتصادية بسبب سقوط العملة عن قيمة الريال الفرنسي[3]، ناهيك عن تحمل بيت المال لأعباء كثيرة أثناء هذا التحديث وذلك بالارتباط مع جملة من السماسرة والوسطاء والبنوك، فضلا عن تزايد الفوائد المفتعلة وقلة خبرة الإطارات المغربية فبالرغم من كل هذه الجهود المبذولة إلا أن الوضع لم يفضي أي تحسن ملحوظ في وضعية النقود المغربية هاته[4] وبهذا آل الأمر من محاولة إصلاح إلى فساد[5].

ثانيا: الإصلاحات الاجتماعية

1. الصحة

تولى السلطان "حسن الأول" العرش 1873م في ظرفية من الهدوء والرخاء التي كانت قد عمت المغرب بعد الأزمة الرهيبة التي عصفت بالبلاد 1869م، ثم لم تلبث دورة الجفاف إلا وعادت من جديد 1877م واستمرت طيلة شتاء 1878م، امتدت خلالها جيوب الجفاف لمختلف أنحاء البلاد فانخفض مستوى المحاصيل بفعل الجفاف واحتياجات الجراد وارتفعت الأسعار وعمّ

---

[1] محمد المنوني، **المرجع السابق**، ص117.

[2] محمد القبلي، **المرجع السابق**، ص493.

[3] محمد المنوني، **المرجع السابق**، ص118.

[4] حسين مكوار، **الإصلاح والمجتمع المغربي في القرن التاسع عشر**، أيام دراسية سلسلة ندوات ومناظرات، جامعة محمد الخامس، منشورات كلية الأداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 23/20 أبريل 1983، ص88.

[5] محمد المنوني، **المرجع السابق**، ص118.

القحط والمجاعة وازداد نزول الحشود من سكان البوادي للمدن مما ساعد بطبيعة الحال[1]، على انتشار الأوبئة التي سرعان ما تفشت في أنحاء البلاد[2]، فإنضاف لأموات الجوع أموات ضحايا الكوليرا، التي بدأت بمكناس حيث سجلت الحالات الأولى فيها لتصل لباقي المناطق وهذا نظرا للمواصلات التي ظلت مفتوحة وقد بلغت وفيات الكوليرا[3] ما بين 20 و30 حالة يوميا[4].

وقد نجد كذلك أمراض أخرى مثل الجدري وحمى التيفية (التيفويد) التي كان أول ضحاياها "أبو موسى بن أحماد" الوزير الأول وعدد من الأعيان والعلماء من بينهم العالم الكبير "القاضي أبو بكر عواد" وهذا بشكل خاص، أما على العموم فقد كانت الحمى تعصف ما يقارب 200 إلى 300 ضحية في اليوم الواحد[5].

وبالرغم من هاته الأمراض والأوبئة كلها إلا أن السلطة لم تحرك ساكن بشكل كبير، خاصة وأن السلطان" حسن الأول" لم يهتم بالميدان الصحي لأسباب كثيرة نذكر منها عقلية المجتمع المغربي الذي كان يرفض المحاجر الصحية والخروج من المدن التي انتشر فيها الوباء لاعتبارهم أن هذا الأمر قضاء وقدر[6].

فضلا عن نقص الأطباء الذي زاد الأمر سوءا فجامعة القرويين التي أخرجت أفضل النخب المثقفة في العالم الإسلامي أمثال "ابن رشد" فقد كانت عاجزة في تلك الفترة على إعداد أطباء ذو تكوين ومستوى يقارب ما كان عليه الطب آنذاك، وفي ظل هذا الغياب للأنظمة الصحية والكوادر الطبية بات الأمر مساعدا لانتشار مثل هذه الأمراض والأوبئة[7].

---

(1) حسن أحمد الحجري، **العقل والنقل في الفكر الإصلاحي في المغرب (1757-1912)**، ط1، المركز الثقافي، الدار البيضاء، 2003، ص120.

(2) محمد الأمين بزاز، **تاريخ الأوبئة والمجاعات بالمغرب 18 و19م**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1929، ص238.

(3) حسن أحمد الحجوي، **المرجع السابق**، ص120.

(4) محمد أمين بزاز، **المرجع السابق**، ص265.

(5) حسن أحمد الحجري، **المرجع السابق**، ص128.

(6) محمد الأمين بزاز، **المرجع السابق**، ص234.

(7) حسن أحمد الحجري، **المرجع السابق**، ص127.

ولكن مع أن الوضع كان بهذا السوء مختزلا بعض الملاجئ الملتصقة بالمساجد التي تأوي المرضى والعجزة في غياب علاج طبي واضح، إلا أن المؤرخ "مصطفى العلوي" ذكر أن عهد "الحسن الأول" عرف مستشفيات للأمراض المعروفة والمنتشرة حينها كإجراء أولي، أما الإجراء الثاني الذي قام في المغرب وكخطوة أخرى للحد من انتشار الوباء هو تخصيص قرى محددة خاصة للمصابين بنفس الوباء حتى لا يختلط المرضى بغيرهم ولا يتسرب المرض خارج هذه المساحة المخصصة، وهي خطوة تدخل ضمن سياسة العزل[1].

2. المنجزات العمرانية:

التطور العمراني هو مظهر من مظاهر التطور الإنساني في جميع العصور التاريخية، حيث تطورت البيئة العمرانية باحتياجات كل مرحلة من مراحل التطور الإنساني وتغيرت تبعا لتغيرها من أفكار، إمكانيات مادية، تأثيرات خارجية مجهودات سلطانية، ومنه فقد تركزت أهم المنجزات العمرانية بالمغرب في عهد المولى "الرشيد"[2]، "إسماعيل"[3]، "محمد الثالث" و"الحسن الأول"[4]، إذْ كان هذا الأخير يستغل فترة الشتاء للإستجمام بفاس، فيقوم بجمع شتات الجيش وتجديد عتاده للقيام ببعض المنجزات العمرانية[5] التي أخذت في مجملها طابعا سياسيا اقتصاديا، كما هو شأن المدن المحدثة آنذاك، وأخر أمنيا استراتيجيا شمل القلاع والحصون لنصل بها إلى الطابع الديني الذي عكسته المدارس والمساجد، ومن الملاحظ أن كل هذه الفنون اشتركت في المميزات نفسها

---

(1) حسن أحمد الحجوي، **المرجع السابق**، ص128.

(2) الرشيد بن علي الشريف، (1631–1082هـ)، المؤسس الحقيقي لدولة الأشراف العلويين عرف المغرب في عهده الرخاء والازدهار بعد فترة من الحروب، عمل على توحيد تراب المغرب ففتح سجلماسة 1079هـ ثم فاس 1076هـ، قضى على الدلائيين والسملالين (للمزيد ينظر: أحمد بن خالد الناصري، **الاستقصاء لأخبار دول المغرب الدولة العلوية**، ج7، الدار البيضاء، 1997م، ص32).

(3) ولد بسوس عام خمسة وستين وألف 1065هـ، بويع له بعد أخيه الرشيد سنة اثنين وثمانين وألف 1082هـ موافق لـ: 1664م، توفي بمكناس 1139، في عهده كانت الدولة العلوية في أزهى أيامها، من إنجازاته اعتنائه بالمدارس والعلماء والمفكرين حرصه على تحصيل أكبر عدد من الكتب، تأسيسه للضريح الإدريسي...الخ (للمزيد ينظر: عبد الرحمان بن زيدان، **الدرر الفاخرة بمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة**، المصدر السابق، ص29.

(4) إبراهيم حركات، **المرجع السابق**، ص518.

(5) عبد العزيز عبد الله، **تاريخ المغرب العصر الحديث والفترة المعاصرة**، ج2، مكتبة السلام، الدار البيضاء، (د. ت)، ص69.

خصوصا في البناء، نذكر منها: الاعتماد على الحجم كمادة أساسية والتأثر بالهندسة المورسكية والبرتغالية[1].

ولعلنا إن نظرنا إلى أبرز تلك المنجزات التي خلفها السلطان "الحسن الأول" نجد منها: قيامه بإصلاح أبراج طنجة وبناء خزائنها المعدة للذخائر على يد بعض المهندسين الإنجليز وبمساعدة "الزلير سكيرج" المهندس المغربي، فضلا عن تعميره البرج الكبير بالرباط أو ما يسمى بالبرج الألماني نسبة إلى المهندسين الألمانيين الذين عملوا على بناءه بشكل هندسة جديدة لم تكن معروفة بالمغرب حينها[2].

أما بخصوص انجازه للمرافق العامة نجد تأسيسه للبستان السابع تحت إشراف أمينه الحاج عبد السلام المقري[3]، وبستان آمنة بفاس، وهذا مع التركيز على المآثر الفنية والمظاهر المعمارية الرائعة من نقوش، تسطيرات ...الخ[4]، ناهيك عن إصلاحات قبة الضريح الإدريسي حيث قام بتجديد تزويقه وتنويقه وبالغ في زخرفته، توسيعه لغراسة جنان عين الخميس[5].

وبالتأكيد نجد للسلطان "الحسن الأول" إسهامات كذلك في ميدان تأسيس المدن منها: تأسيسه لمدينة "أساكا" على مصب واد أساكا وقد كان الهدف منها تحويل نسق البضائع المحلية من المركزيين الاستعماريين إلى البناء الوطني مع العمل على تدمير المركز الإنجليزي الذي لم يكن مرسخ من طرف السلطة، تأسيس مدينة تزنيت جنوب أكادير[6] 1822م إثر مرور السلطان "الحسن الأول" بمنطقة آيت عمران، إذ كانت منطقة تزنيت[7] مدشرا كبيرا أمر السلطان حينها

---

(1) إبراهيم حركات، **المرجع السابق**، ص518.

[2] محمد المنوني، **المرجع السابق**، ص.

[3] عبد الرحمان بن زيدان، **الدرر الفاخرة**، المصدر السابق، ص104.

[4] عبد العزيز بن عبد الله، **المرجع السابق**، ص69.

[5] عبد الرحمان بن زيدان، **المصدر السابق**، ص104.

[6] مدينة كبرى من مدن الساحل الأطلسي، أست في أوائل القرن 10م احتلها البرتغاليون 917هـ حررها السعديون، مركزا صناعيا وتجاريا لأقاليم سوس (للمزيد ينظر: بن صديق العربي، **المرجع السابق**، ص52).

[7] إقليم كبير يقع جنوب أكادير يمتد على شاطئ المحيط الأطلنطي في مساحة تقدر بـ400 كلم كان هذا الإقليم مركزا لحركة دينية كبرى ضد الاستعمار البرتغالي ثم الفرنسي، إشتهر هذا الإقليم بغت الرماية وأنواع الرياضة البدنية (للمزيد ينظر: بن الصديق العربي، **المرجع نفسه**، ص96).

بتسويرها وفتحت بها ستة أبواب، كما خصص لها أبراج ومرافق إدارية ودينية وما لبث أن أصبحت عاصمة "السوس" وكان يستقر بها السلطان من جهة ويستفيد منها بجعلها مركز عسكريا سياسيا مناسبا للمراقبة من جهة أخرى.[1]

ثالثا: الإصلاحات الثقافية

إن كانت الثقافة تشمل أنماط الإنتاج الفكري و المادي للمجتمع، وتمثل خلاصة ذاكرته وتراثه الذي مازال حيا، فإن فكرة إصلاحها هي النظرة الكلية لحصاد الإنتاج الثقافي في حد ذاته.

1. البعثات الطلابية:

كان لسلاطين هذه الدولة اعتناء تام بالتعليم والإصلاح العام[2]، حيث نرى أن انطلاق المحاولات والمجهودات في هذا المجال قد بدأ منذ زمن حكم السلطان محمد بن عبد الرحمان[3]، إلا أن أمثل سلطان جسد هذا الإصلاح والتحديث في الجانب التعليمي على مر التاريخ الاستقلالي للمغرب هو السلطان "حسن الأول"[4]، فالبرغم من أن هذا العهد لم يختلف عن العهود السابقة من من حيث النظام التربوي الذي ظل تقليديا إلا أن هذا الميدان قد حصد مواصلة، وتطورا ملحوظا بخصوص إنشاء بعض المدارس وإرسال البعثات الطلابية[5] لأوربا لتعلم اللغات والفنون والصنائع[6]، وقد يرجح هذا الاهتمام، بشكل خاص كون أن السلطان "الحسن" لديه اطلاع وعناية بهاته العلوم الحديثة[7].

وعلينا أن نشير أن هاته البعثات لم تكن محصورة فقط على الطلبة بل تجاوزتها لتصل إلى فئة العلماء على اختلاف علومهم واهتماماتهم وفنونهم، إذ كانوا يرسلون إلى مختلف الأقطار

---

[1] إبراهيم حركات، **المرجع السابق**، ص525.

[2] عبد الرحمان بن زيدان، **العز والصولة في معالم نظم الدولة**، ج2، مطبوعات القصر الملكي، الرباط، 1962، ص148.

[3] محمد معريش، **المرجع السابق**، ص115.

[4] عبد الرحمان بن زيدان، **المصدر السابق**، ج2، ص149.

[5] محمد معريش، **المرجع السابق**، ص155.

[6] عبد الرحمان بن زيدان ، **المصدر السابق**، ص150.

[7] إبراهيم حركات، **التيارات السياسية والفكرية في المغرب خلال قرنين ونصف قبل الحماية**، دار الرشاد الحديثة للنشر، الدار البيضاء، 1994، ص67.

لاكتساب ما يحسن وما أن قضى الطالب بينهم مهمته وأتم تعليمه حتى استأذن بالرجوع إلى بلده[1].

ومن هنا توالت البعثات أيام السلطان حسن الأول منها: البعثة 1874م التي وجهت للقاهرة بجانب مجموعة أخرى من طلاب الهندسة ليدرسوا اللغات الأجنبية بطنجة قبل بعثهم إلى بعض أقطار أوربا كإنجلترا، إيطاليا، اسبانيا ...الخ، التي استقروا بها ما يقارب اثني عشر سنة كأقصى حد [2].

وبعدها تم إرسال بعثة 1878م، أعد فيها مجموعة من الطلبة لتوجيههم كذلك نحو الدول الأوربية لكن هاته المرة اختلف الأمر إذ عهد السلطان الأول فيها إلى ولاة الأقاليم لاختيار أنجب الطلاب ليتلقوا مبادئ العلوم الرياضية، وعليه تم اقتنائهم بإجراء مباراة لهم بالقصر الملكي[3].

ومن جهود السلطان "الحسن" العلمية كذلك إرساله بعثات لنبغاء دولته من أجل تلقي العلوم الحربية لمختلف دول أوربا[4]، ومن أجل هذا الهدف ألا وهو التدريب العسكري وجه مجموعة من طلبة لألمانيا عام 1883م لتليها مجموعة أخرى مكونة من 5 طلاب و7 صناع لتعلم صنع المتفجرات والتلغراف[5]. وفي هذا الصدد نسجل من بين هؤلاء الذين وجههم السلطان "الحسن الأول" الطبيب الماهر "أبو محمد بن عبد السلام العلي" الذي تابع دروسه الطبية "بمصر" و"الطاهر بن الحاج الأودي" أحد نجباء البعثة الحسينية المتجهة للبلاد الأوربية وقد تخرج من فرنسا[6].

وبرغم من هذا الإنجاز والنجاح العلمي لبعض الطلاب إلا أننا نجد عددا كبيرا من الخرجين لم تتسد إليهم مسؤوليات عامة في نطاق تخصصهم في حين ظل التخطيط والتوجيه قائم على الأطر الأوربية ومنه كان معظم هؤلاء الخرجين بعد عودتهم للمغرب يتفرقون في المدن حتى

---

[1] عبد الرحمان بن زيدان، **المصدر السابق**، ص150.

[2] إبراهيم حركات، **التيارات السياسية والفكرية**، المرجع السابق. ص.36

[3] إبراهيم حركات، **المرجع نفسه**، ص38.

[4] عبد الرحمان بن زيدان، **الدرر الفاخرة بمآثر العلويين بفاس الزاهرة**، المصدر السابق، ص104.

[5] إبراهيم حركات، **المرجع السابق**، ص38.

[6] عبد الرحمان بن زيدان ، **المصدر السابق**، ص105.

يتغلب عليهم اليأس بمرور الزمن لنجدهم في حرفة أو مهنة بعيدة كل البعد عن ميولاتهم وتطلعاتهم[1].

2. الطباعة و الصحافة

كان من الضروري كمرحلة تكميلية للإصلاح الثقافي أن يتم التغيير والتطوير من مجال الطباعة والصحافة لكونهما جزء لا يتجزأ من الحياة الثقافية، إذ يمكن القول أنهما من أبرز الأدوات والوسائل التي تساعد على نشر الثقافة وترويج العلم.

أ- الطباعة:

ينتسب اختراع الطباعة إلى "يوهانس غوتنبرغ" الألماني الذي وضعت محاولاته الأولى موضع التنفيذ عام 1450م، إذ يرى بعض مؤرخي الطباعة أن "غوتنبرغ" تعلم فن الطباعة بالحروف المنفصلة من "لورنس يانسون كوستر" الهولندي[2].

أما بخصوص الطباعة العربية بالحروف فقد ظهرت بإيطاليا في أوائل القرن السادس عشر 16م، حيث تأسست أول مطبعة في "قانون إيطاليا" وهي التي شنها "البابا ليون العاشر" 1514م، وقد طبع فيها خلال القرن السادس عشر 16م العديد من الكتب الدينية والمسيحية والعلمية باللغة العربية ، في حين وصل فن الطباعة بالأحرف العربية إلى الإتاحة في الثلث الأول من القرن الثامن ميلادي، هذا بوجه عام وفي القرن التاسع عشر بالمغرب الأقصى 19م بوجه خاص إذ تم إنشاء أول مطبعة بتطوان على يد الأسبان 1860م عرفت بالمطبعة الإفرنجية.

وأول استخدام للمطبعة بالنسبة للمغاربة كان من خلال ما يسمى بالمطبعة الحجرية 1864م التي يتطلب الطبع فيها لوحات حجرية خاصة للكتابة[3]، ومن أشهر هذه المطابع الحجرية المطبعة السعيدة أو المحمدية نسبة للسلطان "محمد الرابع" والتي أصبحت تعرف فيما بعد

---

(1) إبراهيم حركات، **المرجع السابق**، ص39.

(2)-قاسم السمرائي، **تاريخ الطباعة العربية حتى إنتهاء القرن 19م**، الطباعة العربية في أوربا، ط1، منشورات المجمع الثقافي في أبوظبي، 1996، ص48.

(3)-محمد المنوني، **المرجع السابق**، ص ص258، 259.

بالمطبعة الفاسية وقد كان جهازها التوظيفي يشتمل على ناسخ ومصحح ومعاونين بينما مقرها يتواجد في "دار بالكراء" ونفقاتها مشتركة بين الأحباس والخزينة العامة.

وبهذا الأمر نلاحظ أو نستنتج أن المغرب الأقصى قد عرف فن الطباعة في عهد السلطان "محمد الرابع" ليتواصل هذا النشاط فيما بعد في عهد السلطان "حسن الأول" والذي كانت الكتب المطبوعة في عهده إما عبارة عن كتب تقليدية علمية موجهة للقرويين أو كتب تصحيحية خدمة لأغراض سياسية[1].

ب- الصحافة:

يرتبط تاريخ الصحافة ارتباطا وثيقا بكتابة التاريخ الحديث باعتبار الصحافة وسيلة معنية بمهمة تسجيل الأحداث وتدوينها ونشرها وتداولها، حيث أن الصحف بمختلف أنواعها ومضامينها وتوجهاتها وغاياتها تمثل وثائق تحتوي على مادة تاريخية ذات أهمية بالغة تساعد المؤرخ على تفسير وتحليل الوثائق، مما ساعد الصحافة على البروز وتحقيق أهدافها بالمغرب الأقصى سواء بالنسبة للدول الأوربية التي كانت تنافس على مصالحها في المغرب أو السلطة المخزنية التي كانت تسعى إلى تخفيف وطأة الضغوط الأوربية على المنطقة، وهي مرحلة بدأ استخدام المطبعة وما يترتب عليها من تعزيز للصحافة[2] .

ويمكن القول أن تاريخ ظهور الصحافة الفعلي بالمغرب يعود إلى عشرينات القرن 19 وبالتحديد في سبتة[3] أما ظهورها في طنجة فيرجع إلى عام 1870م؛ حيث كانت أول الجرائد بالمغرب جريدة "Al Moghrabin Al Abas" صدرت في جانفي 1883م بالإسبانية وجريدة " Le Réveil Du Maroc" التي صدرت بالفرنسية في جويلية 1884م[4] ، وقد كانت هاتان الصحيفتين

(1)-محمد معريش، **المرجع السابق**، ص170.

[2] جلاب بوشعيب فرحي، **الصحافة الأجنبية في المغرب الأقصى خلال أواخر القرن 19م وبداية القرن 20م**، **المجلة الأردنية** للتاريخ والآثار، م.ج8، ع2، جامعة الأردن، الأردن، ص92.

[3] مدينة فينيقية الأصل استوطنها القرطاجيون واستعمرها بعدهم الرومان وهي ميناء عظيم على شاطئ البحر الأبيض المتوسط، لعبت المدينة دورها في تاريخ المغرب الإسلامي، والآن تعتبر المدينة جيب من جيوب الإسبانيين وللمدينة العديد من الآثار الإسلامية مساجد أبراج أسوار (للمزيد ينظر: الصديق بن العربي، **المرجع السابق**، ص225).

[4] محمد معريش، **المرجع السابق**، ص271.

لأول مرة في تاريخ المغرب منظمتين في الصدور، كما لهما تأثير في الأحداث السياسية والاجتماعية والاقتصادية...الخ[1] .

وهناك كذلك جريدة "الوقت المغربي" –Times of Maroc– التي صدرت بالإنجليزية في 5 جويلية 1884م، بينما كانت الجريدة الوحيدة التي صدرت في المغرب بالعربية هي جريدة "المغرب" في 1889م، ولطالما نحن في صدد الكلام عن الصحافة فنرى أن الجرائد عموما في عهد "الحسن الأول" لم تقف لغرض التثقيف أبدا بل كانت مجرد سلاح في يد الدول الأجنبية فحسب، إذ لعبت دورا اقتصادي يدخل في إطار تاريخ أوربا بالمغرب أكثر من دخولها في تاريخ المغرب نفسه[2].

وما يؤكد هذا هو أن هذه الجرائد لم تجد رواجا في أوساط الشعب المغربي فضلا عن أنها تجاوزت السلطة المخزنية بأن هاجمت السلطان في عقر داره، الأمر الذي قضى بإيقافها جميعها عام 1885م إلاّ أنها لم تتوقف عن مهاجمة شخص السلطان، ولعل من أبرز أعمال السلطان الحسن" في مجال الصحافة هو مباشرته بمتابعة حركة والده لتلقيح القرويين بالعلوم الحديثة وهذا بأن قام بطبع الكتب الإسلامية بشكل كبير كالفقه والحديث وغيرها[3].

---

[1] جلاب بوشعيب، **المرجع السابق**، ص92.

[2] محمد معريش، **المرجع السابق**، ص172.

[3] محمد معريش، **المرجع نفسه**، ص.ص 172، 175.

الفصل الثالث:

التحديات التي واجهت السلطان حسن الأول

أولا: على المستوى الداخلي

ثانيا: على المستوى الخارجي

لطالما كان لكل مشروع أو تحديث بعض الحواجز أو العقبات التي تحول دون نجاحه ، فليس من الطبيعي أن يحصل تغيير في مجال ما، أو في فترة ما ويحيد ذلك الطريق المعبد والقبول التام. وهذا بالضبط ما حصل لمبادرة السلطان الحسن الأول التي باشرها منذ توليه الحكم، في إطار ما يسمى بسياسة الإصلاح، والتي كان قد بدأ في تنفيذها والده محمد الرابع، ونشير أن هذا الإصلاح كان يسعى من خلاله السلطان الحسن إلى أمرين، الأول النهوض بأوضاع المغرب الأقصى من كل الزوايا، والأمر الثاني دفع الأخطار الأجنبية على المنطقة.

وفي هذا الصدد كان على السلطان الحسن مواجهة العديد من الضغوطات والتحديات الكثيرة والمتنوعة، ولعلنا نحصرها في المستويين الداخلي والخارجي.

أولا: على المستوى الداخلي :

فأمّا المستوى الداخلي نعني به تلك العراقيل المحلية – أطراف مغربية داخلية– حالت دون نجاح المشروع الإصلاحي.

1. الدينية والثقافية:

موقف أهل العلم والدين: إننا لا يمكن أن ننكر أهمية النخبة العلمية والدينية في أي مرحلة من مراحل أي دولة كانت عربية أو أجنبية ومدى تأثيرها على القرارات العليا، كما لا يمكننا أن نرفض أن لكل تغير وتحديث ما يقابله من تنازلات تقضيها الحاجة لنجاح هذا الإصلاح وهذا ما لم يتقبله الفقهاء والعلماء الذين بدأوا يتخبطون في الربط بين مسألة التحديث من جهة والخشية من المساس بكيان المغرب المستقل والدين الإسلامي من جهة أخرى، وعليه نجد أن مبادرات التحديث تلك تتأرجح عندهم بين الاستحسان والاستنكار[1].

بالرغم من أن الأمر طبيعي ومنطقي يتماشى مع الدين الإسلامي، هذا أن ديننا الإسلام صالح لكل مكان وزمان ومنه لا جناح في أن يقوم ببعض التحديثات أحيانا للتكيف مع متطلبات العصر الذي نحن فيه دون الإساءة لشريعتنا أو عاداتنا، وإننا لو نظرنا إلى أسباب تطور دول أوربا التي كانت السباقة في التطور والتحضر آنذاك لوجدنا أن أهمها هو التحرر من سيطرة

[1] أحمد حجوي، **المرجع السابق**، ص154.

الكنيسة والجمود الذي فرضه رجالها، هذا بأن أطلقت العنان للعقل والتفكير حتى بزغت عليها شمس النهضة وفي المقابل غلق تدريجيا ما يسمى بصفحات الظلام تلك العصور الوسطى[1].

وقد نرى أن السلطان الحسن الأول الذي وجد نفسه مجبرا على استشارة والأخذ بعلم هؤلاء النخب – العلماء والفقهاء– في موضوع إمكانية العمل بهاته التعديلات والإصلاحات ومدى الاعتماد عليها.

صدم بالواقع إذ رفضت هذه الفئة أي تحديث جاء به النصارى الأعداء والأخذ منه فيما يفيد الإنسانية، ولهل من صور رفضهم لبعض هذه التقنيات الحديثة على سبيل المثال: التلغراف الذي رأوا وأكدوا على ضرورة رفضه والاستغناء عنه ليس في المغرب الأقصى فقط بل في العالم الإسلامي عامة.

كذلك رفضهم لآلة الفونغراف (المذياع) واعتبارها من المنكرات؛ حيث حسب تأويلهم لا يجوز استعمالها كآلة تسمع بواسطتها تلاوة القرآن في الأزقة والأسواق، وهي في الأصل أعدت بهدف اللهو والعبث، ومنه فطبقا لنظر هؤلاء النخب أن مثل هذه التحديثات والتقنيات ما هو إلا مصدر فتنة ومصدر للدين الإسلامي الحنيف[2].

2. الإقتصادية و السياسية :

أ- الإقتصادية:

- **المحدودية المالية:**

يعتبر العامل المالي أهم العوامل التي ترتكز عليها بناء الدولة وإصلاحها من جديد حيث أن أي تحديث سوف يتطلب بالضرورة ميزانية مالية معتبرة لتنفيذه سواء البعثات الطلابية التي باشر بها السلطان الحسن الأول وما يترتب عليها من مستحقات ونفقات، أو التحديثات العسكرية كذلك من سفن وسلاح، خبراء... الخ، كل هاته الترتيبات تحتاج مبالغ مالية ضخمة، وهو الشيء الذي

---

[1] أحمد كافي، **مشاريع الإصلاح السياسي بالمغرب في القرنين التاسع عشر والعشرين**، ط1، دار الكلمة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، 2013، ص348.

[2] أحمد حجوي، **المرجع السابق**، ص152.

حرص السلطان على تأمينه منذ بداية مشروعه الإصلاحي ولكن بالرغم من محاولات السلطان الحسن الكثيفة من تجاوزه إلا أنه وجد نفسه عاجز على تدبيره.

نتيجة العديد من الظروف والأوضاع التي فرضت على المغرب الأقصى لم تكن في الحسبان أهمها الدخول في أزمات اقتصادية غير متوقعة نتيجة الأمراض الخطيرة والجفاف الذي فتك بالمنطقة[1].

الارتباط مع جملة من السماسرة والوسطاء، تزايد الفوائد المفتعلة، التلاعب بأثمان الفضة، وإدخال الأوربيين الريال الإسباني والفرنسي اللذان غمرا الأسواق فأجحفا بالمثقال الشرعي، وبهذا سقط المغرب الأقصى في المديونية (عجز الميزانية) [2].

- **انعدام الإمدادات الداخلية:**

لقد إلتزم الجهاز المخزني (سلطة) بالإصلاح بشكل تام دون مباشرة من العامة، وهذا ما لا يمكن للدولة أن تؤمنه أو تتحمله فالمنطقي أن كل دولة مقبلة على مرحلة إصلاحية أو تعديله سواء بشكل تدريجي أن تحرص على توفير أكبر قدر من الإمدادات والمساندات مهما اختلفت مادية كانت أو معنوية.

وربما أن أكثر هاته الفئات المحتمل أن تكون على رأس القائمة استعدادا هي الطبقة البرجوازية وهنا نقصد بها طبقة التجار والعائلات الكبيرة والنافذة على الحكم ولكن كيف لطبقة التجار أن تقدم الدعم وهي التي تعاني من الجمود الذي جعلها تحتمي بالتجار الأجانب وتخدمهم فيما يؤيد مصالحهم، ومنه فإن هذا الوجود الأوربي بات فكرة جيدة يؤيدها التجار للخروج من أزماتهم وتنشيط ميدانهم[3].

---

[1] عمر أفا، **التجارة المغربية في القرن التاسع عشر البنيات والتحولات 1830-1912**، ط1، دار الامان للنشر، الرباط، 2006، ص232.

[2] جرمان عياش، **دراسات في تاريخ المغرب**، ط1، الشركة المغربية للناشرين المتحدين، الرباط، 1986، ص345.

[3] جرمان عياش، **المرجع نفسه**، ص348.

ب. **السياسية:**

- **استبداد رجال الدولة:**

إن أسوأ ما تتعرض له الخطط الإصلاحية هو أن يكون القائمين عليها أو على وجوب تنفيذها هم أنفسهم العاملون على عرقلتها، فهؤلاء الذين أوكلت لهم مهمة التحديث والإصلاح سارعوا إلى الاستبداد وتحقيق مطامحهم وأهوائهم في السيطرة والتملك وليس السعي إلى هموم الوطن والنهوض به.

لعل من أبرز صور هذه التعسفات هي ما قام به القواد خاصة وان للقائد موقعا عظيما هذا وانه يتوسط المؤسسة القبلية و المخزنية، وقد نلاحظ أن هذا الاستبداد زاد في القرن 19م حيث أصبحت المراسلات المخزنية تعج برسائل التظلمات و الشكايات من تعسفات القواد[1].

وأكثر ما يؤكد هذا هو الكناش رقم 154 من الخزانة الحسينية الذي عثر عليه فيما بعد، يشتمل على ملف هام يتكون من 13 رسالة أو ملخصا حول حوادث مواجهات بين العسكر والسكان كان أقواها تلك التي بين قبيلة "غياثة " والقواد[2]، وفضلا عن هذا كله فإن أكبر عائق واجهه السلطان الحسن على مستوى المخزن فعلا هو انعدام الوعي في التنظيم، الناتج عن محدودية الرؤية المستقبلية لهذا الإصلاح ولهذه المجهودات.

فكيف للسلطة بأجهزتها أن ترسل مثلا بعثات طلابية لمختلف البلدان الأوربية ضمن إطار إعادة الهيكلة دون رسم تنظيم واضح من شأنه أن يهتم بهؤلاء الخرجين بعد عودتهم للوطن وتحقيق ما أرسلوا من أجله وهو الاستفادة من هؤلاء المثقفين واستثمار مكتسباتهم في سبيل تطوير وبناء المغرب الأقصى على أيدي نخب متمكنة ووطنية ، وفي هذا السياق نجد المصلح "محمد بالحسن الحجوي" يطلق آخر نداء وتحذير للدولة العاجزة في نظره عن تحقيق وظائفها الأساسية

---

[1] أحمد كافي، **المرجع السابق**، ص264.

[2] عبد الرحمان المودن، **البوادي المغربية قبل الإستعمار قبائل إينوان والمخزن بين القرن السادس عشر والتاسع عشر**، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ص271.

في كتاب بعنوان "انتحار المغرب الأقصى بيد ثواره" وفي الأخير نجد أن هؤلاء الخريجين بعد عودتهم وبعد أن يقضي عنهم اليأس سينتهي بهم المطاف في حرفة بسيطة تقليدية[1].

- **الولاء النسبي للسلطة:**

حيث نرى هنا أن اكبر العوائق التي صادفت مشروع السلطان الحسن الأول الإصلاحي بالمغرب هو سيطرة في حد ذاتها ، والتي نجد أنها لم تتجاوز منطقة تافيلالت بمعنى اكبر مركز السلطة الحاكمة، فالمنطقة الشرقية كانت متمردة على السلطان على غرار المنطقة الغربية حتى جبال الأطلس التي كانت تخضع للمخزن وما يؤكد هذا التمرد نجد تلك الاضطرابات الداخلية المفتعلة من بعض القبائل التي كانت تمتنع عن دفع الضرائب وتسبب بعض المشاكل كما حصل سنة اثنين وتسعين مائتين وألف هجري (1292هـ/1875م) عندما رفضت قبائل الرحامنة وزمران دفع الضريبة، الأمر الذي جعل السلطان الحسن أن يحرض عليهم العسكر والخيل فأثقل ظهورهم حتى دفعوا ما امتنعوا عن أدائه.

وعليه مما سبق سيتعذر بالسلطان الإلمام بإصلاح أوضاع الدولة الذي كان قد شرع به في وسط جو سياسي غير مستقر ومضطرب حيث انه سينشغل بهاته الأمور –الإخضاع الداخلي– على حساب تدبيره وتخطيطه للإصلاح في ذاته ومن هنا ستحدث فجوة في الربط بين الوضع الأمني الداخلي والمشروع التحديثي من جهة أخرى، مما سيعرقل سيرورة الإصلاح وضمان نجاحه[2].

ثانيا: على المستوى الخارجي:

رغم أن الوسط الخارجي أقل تأثيرا من تلك الإشكاليات الداخلية التي ستواجه السلطان الحسن الأول إثر تحضيره لمشروعه التحديثي هذا، والذي لطالما سعى إليه منذ توليه العرش إلا أننا لن نتجاوز دور هذا الوسط في عرقلة العملية الإصلاحية خدمة للأطماع الأوربية التوسعية في المغرب الأقصى، وعليه سوف نعرج عن بعض التحديات في التالي:

---

[1] احمد حجوي، **المرجع السابق**، ص154.

[2] خالد الناصري، **الاستقصاء**، ج9، **المرجع السابق**، ص148.

1. التدخلات الأجنبية:

لقد عرف المغرب مرحلة جديدة من التدخلات والتحرشات الأجنبية في إطار العلاقات الدولية والتي لعبت دورا هاما في تطويق كل مبادرة تصدر من الحكومة أو السلطة من شأنها النهوض بالمنطقة وإصلاح أوضاعها وقد فرضت هذه التدخلات بسبب نقطة محورية في التاريخ السياسي العسكرية للمغرب وهي معركة إيسلي 1844م وحرب تطوان التي تلتها 1859-1860م[1].

إذ نجد أنه منذ ذلك الوقت بدأت ملامح الضياع والتنازل تظهر تدريجيا انتهت بالاستسلام – فرض الحماية الأوربية- على المغرب الأقصى هذا بأن صار في استطاعت أي جيش أوربي التوغل في ثغور المنطقة دون أن يجد مواجهة واضحة وفعالة، لاسيما إن كانت هذه المواجهة هي عبارة عن تهديد من دولة أجنبية أخرى وبالتأكيد ليس بهدف حماية المغرب بل تخوفا على تضرر مصالحها فحسب ، ولعلنا في سياق التدخلات هاته نرى محاولة إسبانيا تملك بعض المراسي السوسية سنة تسع وتسعين ومائتين وألف 1299هـ-1882م حيث كانت مراكبها الحربية والتجارية كثيرة التردد على المغرب فتستهوي سكانه بحجة التجارة والربح المالي.

أما التدخلات السياسية فنقصد بها تلك الضغوطات التي طبقتها الحكومات الأوربية على المغرب الأقصى والتي بموجبها تم تقييد القرارات السلطانية وحصرها تماشيا مع المصالح والأطماع الأوربية[2].

مثلما حصل في مؤتمر مدريد الذي تم فيه توسيع دائرة الامتيازات الأجنبية بشكل يشمل كل الدول الأوربية تقريبا وهذا بحجة حماية الرعايا المتواجدين بالمغرب، إذ تعتبر هذه الفئة الأجنبية مصدر فوضى وتشويش على الدولة وهذا نتيجة اختلال في النظام الذي يطبق عليهم فهم يتمتعون بامتيازات مزدوجة غير واضحة، فمن جهة يمتلكون كافة الصلاحيات والحقوق الخاصة بالسكان

---

[1] هي هجوم إسبانيا على المغرب الأقصى سنة 1860 بحملة ذات طابع صليبي وبإيعاز من الملكة إليزابيث الثانية وتموين من فرنسا، وقد استمرت الحرب مدة تزيد عن شهرين ونصف مذ أول مجابهة حتى احتلال تطوان (للمزيد ينظر: إبراهيم حركات، **المغرب عبر التاريخ**، المرجع السابق، ص231).

[2] فادية عبد العزيز، الحركة الوطنية المغربية 1912-1937، **المجلة الجامعية**، ع6، فبراير 2014، ص8.

الأصلين المغاربة، ومن جهة أخرى يمتنعون عن القيام بالواجبات التي تفرضها الدولة المحميين مثل دفع الضرائب... الخ[1].

ويجب الإشارة هنا بأن نظام الحماية أصبح محط متاجرة فعلية حيث كان الأوربيون يبيعون الحماية ليستغلونها فيما بعد لتحقيق مصالحهم وتنفيذ تجاوزاتهم فحسب بل وإنما نجد أن هؤلاء الرعايا قد عملوا على الاحتماء من طرف عدة دول أوربية في نفس الوقت اعتقادا منهم بان هذا الأمر سيعود عليهم بفوائد أكثر مما لو احتموا بدولة واحدة، وهكذا نجد الواحد منهم محميا فرنسيا وإسبانيا وبرتغاليا... الخ في آن واحد[2].

2. التعاملات الأجنبية:

نجد أن فترة السلطان الحسن الأول عرفت تطورا وتنوع في مجال العلاقات الدولية خاصة الأوربية، وهذا منذ بداية مشروعه الإصلاحي بالمغرب، حيث نلاحظ أن التعاملات زادت نظرا لأن التحديث ارتكز بشكل كبير على الأيادي الأجنبية وقد يتضح هذا الأمر من خلال زاويتين الأولى عسكرية حيث نرى أن كل الإمدادات العسكرية قد كانت أوربية سواء أسلحة، سفن، أو خبراء... الخ.

و هاته التمويلات باتت تشكل خطرا في حد ذاتها هذا وأن الاعتماد على مثل هؤلاء الخبراء العسكريين ليس بالفكرة الجيدة والمهام التي أوكلت لهم في المغرب مكنتهم من التجسس على السلطان وحاشيته والتقاط أكبر قدر من المعلومات عن البلاد والسكان استعدادا لتنفيذ المخططات الأوربية التوسعية[3].

خاصة أن فترة السلطان الحسن الأول هي فترة سبقت الاحتلال بمعنى آخر مرحلة (مرحلة جس النبض)، أما بخصوص شراء الأسلحة الأوربية وما شابه ذلك والأمر لا يقل خطورة وما يؤكد هذا هو بيع إيطاليا سلاح فاسد قديم للسلطان مقارنة مع تلك الأسلحة الحديثة التي يعتمدونها.

---

[1] علال الفاسي، **مراكش من الوجهة التاريخية والقانونية**، ط1، مطبعة الرسالة، القاهرة، 1948، ص65.

[2] عبد الوهاب بن منصور، **المرجع السابق**، ص31.

[3] منوعات محمد حجي، **المرجع السابق**، ص398.

وفيما يخص الجانب الثاني للتعاملات الأوربية المغربية في إطار المنظومة الإصلاحية والذي قد شكل بعض العقبات للسلطان الحسن الأول فهو المجال العلمي ونعني به تلك البعثات العلمية والطلابية التي تم توجيهها للدول الأوربية بشكل كبير دونا على البلدان الأخرى، مثلا دول المشرق... الخ، وهذا لاعتبارات كثيرة منها أن الدول الأوربية كانت سباقة في مجال التقدم والتحضر أما الاعتبار الثاني هو أن دول المشرق والمغرب هي الأخرى كانت تعاني من اللإستقرار السياسي إما احتلالا مباشرا أو حماية.

وهذا الاعتماد العلمي الأوربي لم يكن بالاختيار الناجح والسهل، بل هو تعامل فرضته الضروريات فليس من المنطقي أن نعتمد على أعدائنا في بناء ركائز الدولة ، وأيٌّ ركائز تلك التعليم الذي هو عمود تحرير وتطوير الدول والنهوض بها. فكيف لأوربا أن تظافر جهودها لتسليح طلاب العلم المغربيين على أكمل وجه؟ مثلما تفعل لإعداد طلابها.[1].

[1] الناصري، **الاستقصاء**، ج9، **المرجع السابق**، ص184.

خاتمة

خـاتـمة

من خلال معالجتنا لموضوع إصلاحات السلطان "الحسن الأول" في المغرب الأقصى يمكننا الخروج بالنتائج التالية:

- تولى السلطان "الحسن الأول" عرش المغرب الأقصى سنة 1873م في ظروف يغلبها طابع التشويش والاضطراب، حيث نجد أن هذه المنطقة كانت تعاني من ضغوطات و تنافسات للعديد من الدول الأوربية، التي كانت تسعى لتحقيق أطماعها بالمنطقة، سواء كانت هذه الأطماع سياسية، اقتصادية، توسعية ...الخ، و لأجل هذا الهدف تمّ تطبيق العديد من الاتفاقيات، المعاهدات و المؤتمرات التي من شأنها تضييق الخناق على منطقة المغرب الأقصى، و ممّا ساعد في هذا الأمر هو وضع المغرب العربي ككل، الذي كان يعاني الاحتلال بصفة مباشرة، أو غير مباشرة ، وبالتالي عانت المنطقة من التطويق الداخلي والخارجي ، هذا ما جعل المغرب الأقصى يحاول الخروج من هذا الوضع المتدهور، مطبقا إصلاحات التي باشر بها السلطان "محمد الرابع" بشكل أولي.
- لقد ساهم نشوء "الحسن الأول" واحتكاكه بجده السلطان "عبد الرحمان" في بروز شخصيته ونضجه، و ظهور حكمته فور توليه الحكم، إذ نجد أنّ هذا الأخير حرص على تربيته تربية علمية، عن طريق اهتمامه وتدقيقه في اختيار أساتذة لحفيده "الحسن الأول" ، و كذلك على ضرورة اكتسابه المعرفة من العظماء أصحاب الدراية آنذاك، فضلا عن دخوله معترك الحياة السياسية من خلال استخلافه للعديد من المهمات والأعباء في حياة والده "محمد الرابع"، و بهذا الأمر اكتملت ورسمت ملامح شخصية السلطان "الحسن الأول" في شكل سلطان ذو وقار وعلم وحكمة.
- إن ظروف الفوضى والضعف التي تولى خلالها السلطان "الحسن الأول" العرش فرضت عليه العمل للخروج من هذه الدائرة ،التي سترمي بالمغرب الأقصى إلى المجهول، وعليه اختار السلطان الحسن الإصلاح والتعديل لمختلف مجالات الحياة ككل، و الوصول إلى ركب الدول الأوروبية المتقدمة، وهذا طبعا مواصلة لما قام به والده "محمد الرابع". وكذلك اقتناعا منه بضرورة التغيير للتمكن من النهوض، وقد نجد هذا المشروع الإصلاحي كان في مجمله شاملا لمجالات الحياة دون أن يمس مجال على حساب الآخر.
- لقد واجه السلطان "الحسن الأول" خلال مشواره الإصلاحي بالمغرب الأقصى العديد من العراقيل والتحديات، سواء داخليا أو خارجيا حيث تمثلت الداخلية منها في:

- عزوف الطبقة العامة المساهمة في هذا الإصلاح.
- تجاهل و إنكار الطبقة المثقفة لهذه التعديلات، ظنّا منهم أنها تخالف الشريعة الإسلامية، وتمس باستقلال وكيان المغرب الأقصى السياسي (التبعية).

أما خارجيا فقد تمثلت هذه التحديات في:

- التدخلات الأجنبية من خلال مجموعة من المنافسات بين الدول الأوربية، والتي كانت تهدف للسيطرة على المنطقة.

5- ورغم فشل كل هذه المحاولات الإصلاحية التي كان من شأنها النهوض بأوضاع المغرب الأقصى وحمايته من أي تدخلات خارجية، إلا أنه يمكننا القول أن مصير أبرز هذه الإصلاحات كان الفشل ولعلنا إن أشرنا إلى أسبابه نجد:

- الفترة الزمنية في حد ذاتها التي تولى فيها "الحسن الأول" العرش والتي كانت جد حرجة والوضع فيها محسوم لصالح السيطرة الأوروبية في البلاد.
- الاعتماد الكلي في معظم جوانب الإصلاح على الأيادي الأجنبية باعتبارها أكثر كفاءة وخبرة، و بالطبع هذا أمر غير منطقي ففي النهاية ستظل هذه الأيادي العدو الأجنبي، الذي لطالما عمل وخطط لتدمير المغرب الأقصى ،وسيطرته لتحقيق مصالحه بالمنطقة، وما يؤكد على هذه الفكرة أن هؤلاء الخبراء والفنيين الذين تمّ الاستعانة بهم كانوا بمثابة عين مراقبة لتصرفات وقرارات السلطان وأعوانه من أجل نقلها فيما بعد لسلطاتهم الأجنبية، عدا على أنه في بعض الأحيان كانوا يقومون بإحصاء السكان و معرفة أبرز الثغور، ليتم من خلالها الهجوم الأوربي فيما بعد (الحماية).

- كانت المؤتمرات التي عقدها السلطان الحسن الأول قد جاءت بنتائج عكسية غير متوقعة، إذ تمّ فتح باب جديد للامتيازات الأجنبية لكل الدول الأوروبية، التي كانت مقتصرة قبلا على الامتيازات الفرنسية- البريطانية.
- كانت هذه الإصلاحات فاشلة بنسبة متفاوتة، إذ نجد أن الإصلاحات العسكرية و الاقتصادية كانت فاشلة فشل ذريع.

قائمة الملاحق

الملحق رقم (01): السلطان الحسن الأول

بهيجة سيمو، المرجع السابق، ص148.

الملحق رقم (02): صورة لمعركة تطوان سنة 1859-1860م

فهيمة بوسيلت، المرجع السابق، ص29.

الملحق رقم (03): صورة للحاج محمد زبدي يتوسط أعضاء السفارة التي أرسلها السلطان حسن الأول سنة 1876/ للدول الأوروبية

عبد الوهاب بن منصور، المرجع السابق، ص62

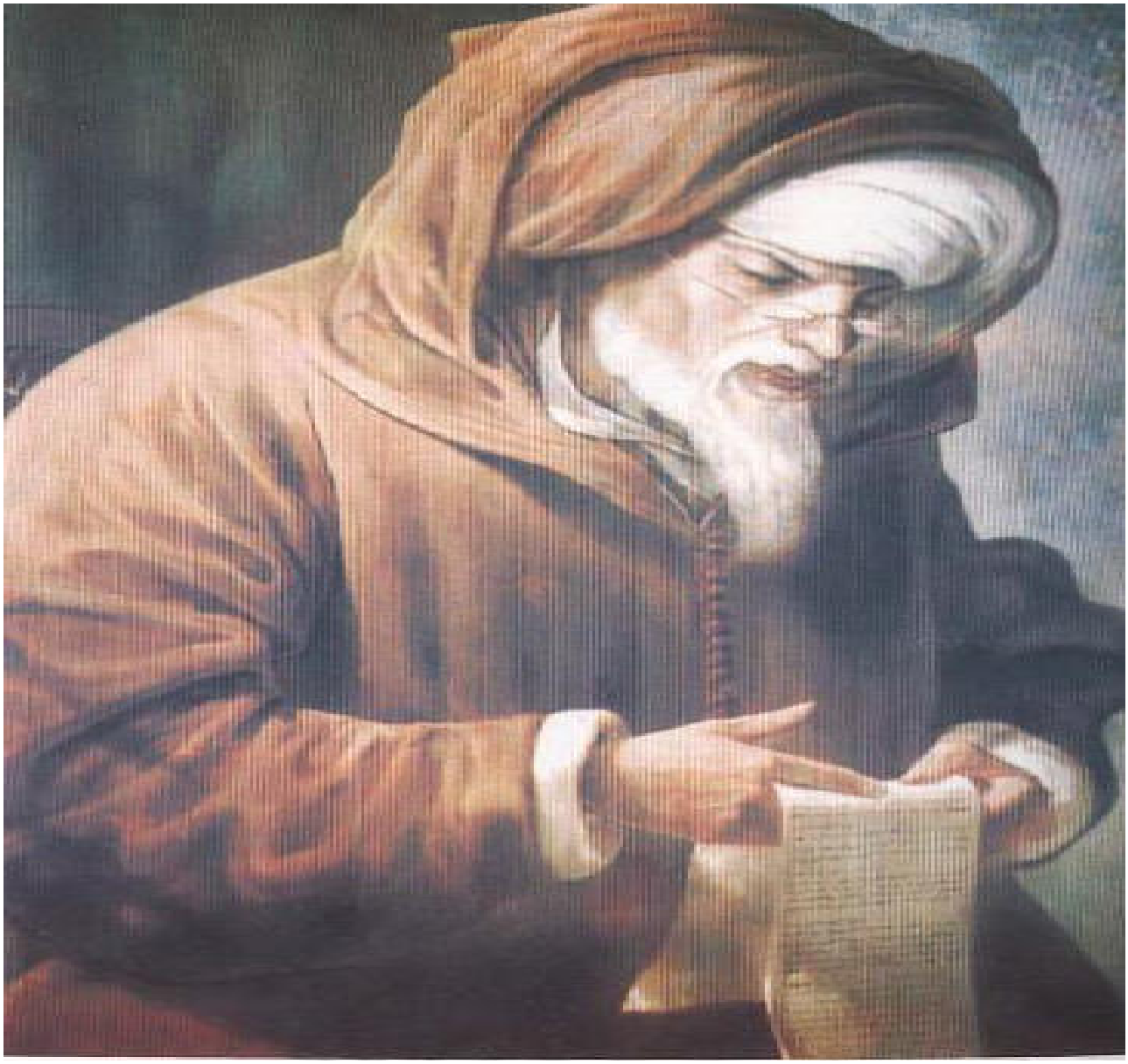

الملحق رقم (04): صورة وزير الشؤون الخارجية محمد بركش ممثل المغرب الأقصى في مؤتمر مدريد سنة 1880م

فهيمة بوسيلت، المرجع السابق، ص43.

الملحق رقم (05): صورة السير جون دراموند هاي وزير بريطانيا المفوض في المغرب الأقصى
محمد معريش، المرجع السابق، ص249.

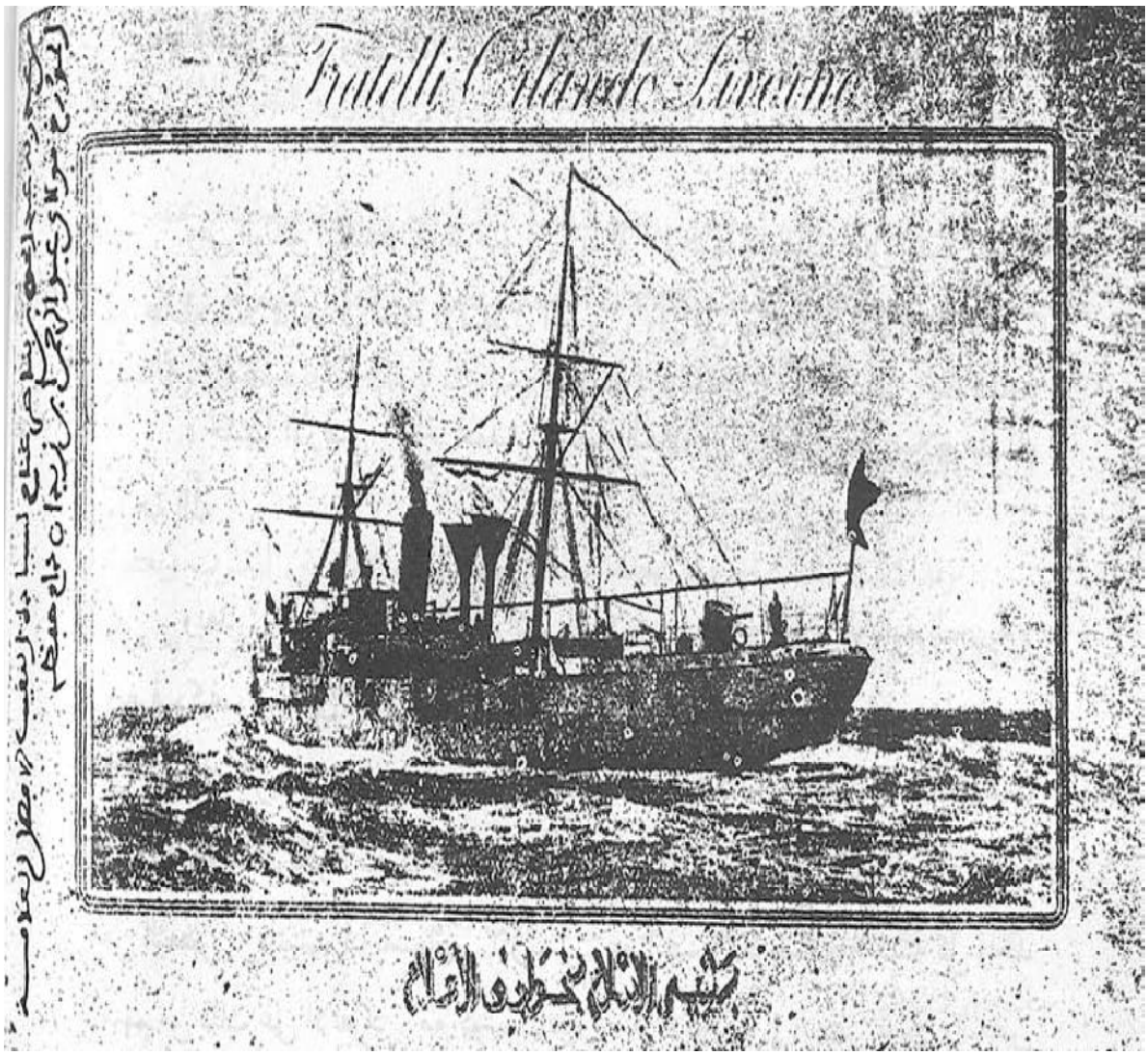

الملحق رقم (06): صورة باخرة بشير الإسلام بخوافق الأعلام، صنعت خلال فترة حكم حسن الأول

بهيجة سيمو، المرجع السابق، ص341.

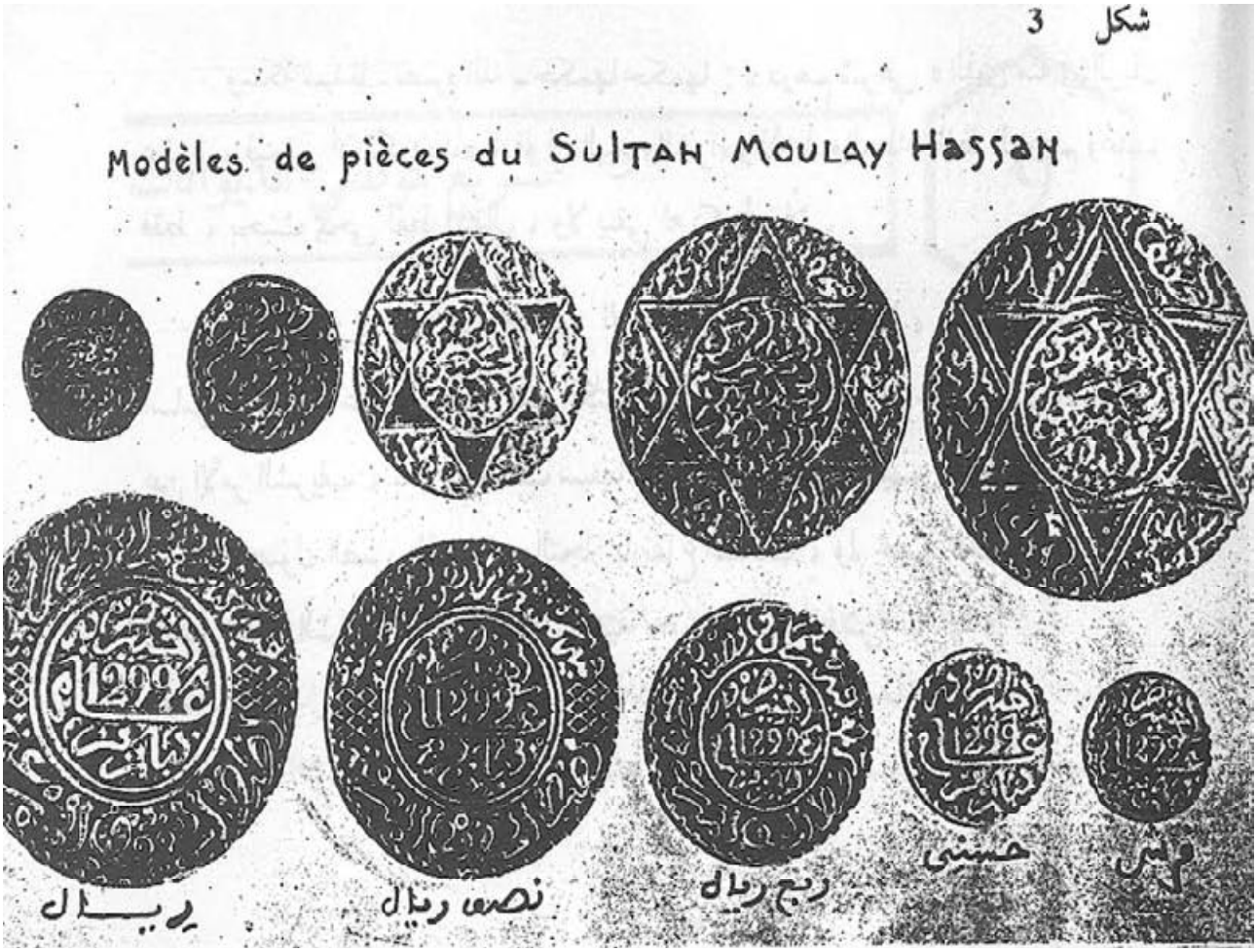

الملحق رقم (07): صورة قطع العملة الحسينية

محمد المنوني، المرجع السابق، ص119.

قائمة المصادر والمراجع

أولا: المصادر

1-ابن زيدان عبد الرحمان، **إتحاف أعلام الناس بجمال حاضرة مكناس**، ج3، ط1، المطبعة الوطنية، الرباط، 1930.

2-ابن زيدان عبد الرحمان، **الدرر الفاخرة بمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة، المطبعة الاقتصادية**، (د، ط)، الرباط، 1961.

3-ابن زيدان عبد الرحمان، **العز والصولة في معالم نظم الدولة**، ج1، المطبعة الملكية، الرباط، 1961.

4-ابن زيدان عبد الرحمان، **العز والصولة في معالم نظم الدولة**، ج2، مطبوعات الفصل الملكي، الرباط، 1962.

5-أبي الخطيب السلماني لسان الدين، **معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار**، تحقيق ودراسة كامل شبانة، (د، ط)، مكتبة الثقافة الدينية، (د، ب)، 2002.

6-أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي شهاب الدين، **معجم البلدان**، ج4، (د، ط)، دار الصادر، بيروت، (د، ت).

7-عبد المنعم الحميري محمد، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تحقيق عباس إحسان، ط1، مكتبة لبنان، بيروت، 1975.

8- الناصر أبو العباس أحمد الدين بن خالد، **الاستقصاء لأخبار دول المغرب الدولة العلوية**، ج7، تحقيق جعفر الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1997.

9-الناصري أبو العباس أحمد الدين بن خالد، **الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى الدولة العلوية**، القسم3، ج9، تح جعفر الناصري، محمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1977.

ثانيا: المراجع

1-ابن منصور عبد الوهاب، **مشكلة الحماية القنصلية بالمغرب من نشأتها إلى مؤتمر مدريد 1880**، ط2، المطبعة الملكية، الرباط، 1985.

2-أفا عمر، **التجارة المغربية في القرن التاسع عشر البنيات والتحولات 1930-1912**، ط1، دار الأمان، دار الرباط، 2006.

3-البزاز محمد الأمير، **تاريخ الأوبئة والمجاعات بالمغرب في القرنين 18 و19**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط، 1992.

4-بن عبد الله بن العزيز، **تاريخ المغرب الحديث والفترة المعاصرة**، ج2، مكتبة السلام، الدار البيضاء، (د. ت).

5-الجمل شوقي عطا الله، **المغرب العربي الكبير في العصر الحديث**، تونس الجزائر المغرب، (د. ط)، مطبوعات المنيل، القاهرة، 2007.

6-الحجوي أحمد الحسن، **العقل والنقل في الفكر الإصلاحي المغربي (1757-1912)**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2003.

7-حجي محمد، **منوعات محمد حجي**، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998.

8-حركات إبراهيم، **التيارات السياسية والفكرية في المغرب خلال القرنين ونصف قبل الحماية**، ط2، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1994.

9-حركات إبراهيم، **المغرب عبر التاريخ**، ج3، ط2، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1994.

10- حزب الاستقلال، **المغرب الأقصى مراكش الحماية عهد الحماية بعد الحماية**، (د. ط)، دار المطبعة العربية للنشر والتوزيع، مصر، (د. ت).

11- سميو بهيجة، **الإصلاحات العسكرية بالمغرب 1844-1912**، ط1، منشورات اللجنة المغربية للتاريخ العسكري رسائل وأطروحات رقم1، الرباط، 2002.

12- الشابي مصطفى، **النخبة المخزنية في المغرب القرن 19**، ط1، منشورات كلية الآداب والعلوم، القاهرة، 1945.

13- شاكر محمود، **التاريخ الإسلامي المعاصر لبلاد المغرب**، ط2، المكتب الإسلامي، دمشق، 1996.

14- عامر محمد علي، محمد خير فارس، **تاريخ المغرب العربي الحديث "المغرب الأقصى-ليبية"**، الجمعية التعاونية للطباعة، دمشق، (د. ت).

15- العربي بن صديق، **كتاب المغرب**، ط3، دار المغرب الإسلامي، (د. ب)، 1984م.
16- العقاد صلاح، **المغرب في التاريخ الحديث والمعاصر الجزائر تونس المغرب الأقصى**، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1993.
17- علي الرحماني محمد، محمد الأمين محمد، **المفيد في تاريخ المغرب**، (د. ط)، دار الكتاب، الدار البيضاء، (د. ت).
18- عياش جرمان، **دراسات في تاريخ المغرب**، ط1، الشركة المغربية للناشرين المتحدين، الرباط، 1986.
19- الفاسي علال، **الحماية في مراكش من الوجهة التاريخية والقانونية**، ط1، مطبعة الرسالة، القاهرة، 1948.
20- القبلي محمد، **تاريخ المغرب تحيين وتركيب**، ط1، منشورات العهد الملكي، الرباط، 2011.
21- قدورة زاهية، **تاريخ المغرب الحديث**، دار النهضة العربية، الدار البيضاء، (د. ت).
22- كافي أحمد، **مشاريع الإصلاح السياسي بالمغرب في القرنين التاسع عشر والعشرين**، ط1، دار الكلمة للنشر والتوزيع، القاهرة، 2013.
23- المريني عبد الحق، **الجيش المغربي عبر التاريخ**، ط5، مطبعة المعارف الرباط، 1997.
24- معريش محمد العربي، **المغرب الأقصى في عهد الحسن الأول 1873-1894**، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1989.
25- مكوار حسن، **الإصلاح والمجتمع المغربي في القرن التاسع عشر، أيام دراسية من 20-23 أفريل**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط، 1983.
26- المنوني محمد، **مظاهر اليقظة المغرب الحديث**، ج1، مطبعة الرباط، 1973.
27- المودن عبد الرحمان البوادي، **المغربية قبل الاستعمار قبائل إيناون والمخزن بين القرنين 16 و19**، ط1، مطبعة النجاح الجديد، الدار البيضاء، 1995.

ثالثا: الدوريات

1- السمرائي قاسم، **"تاريخ الطباعة حتى انتهاء القرن 19"**، الطباعة العربية في أوربا، ط1، منشورات المجمع الثقافي، أبو ظبي، 1996.
2- بوشعيب فرحي جلال، ""**الصحافة الأجنبية في المغرب الأقصى خلال أواخر القرن 19م وبداية القرن 20م**""، (**المجلة الأردنية**) للتاريخ والآثار، مج8، ع2، جامعة الأردن، (د. ت).
3- عبد العزيز فادية، ""**الوطنية المغربية** "" 1912-1939، (**المجلة الجامعية**)، ع6، جامعة بن غازي، فبراير 2014.

رابعا: المذكرات الجامعية

1-بوزكري مروان، **التنافس الفرنسي الإنجليزي على المغرب الأقصى 1873-1894**، مذكرة لنيل الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، 2010/2009
2-بوسيلت فهيمة، **التنافس الأوربي على المغرب الأقصى 1880-1912**، مذكرة شهادة الماستر تخصص تاريخ معاصر، جامعة محمد خيضر، 2015-2016.
3-نويوة نسيم، **معركة إيسلي 1844 وانعكاساتها على العلاقات الجزائرية المغربية**، مذكرة لنيل شهادة الماستر، تخصص تاريخ الحديث والمعاصر، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2015-2016.

خامسا: الموسوعات

1- زبيب نجيب، **الموسوعة العامة لتاريخ المغرب**، ج3، ط1، دار الأمير للثقافة والعلوم، بيروت، 1937.

سادسا: المقالات الإلكترونية

1- الشاوش محمد العربي، **"الدولة المغربية النشأة والاستقرار والاستمرار"**، **مجلة دعوة الحق**، العدد 273، على الرابط www.habous. Gov.ma>daouat alhaq>itemes.

2- العرائشي محمد، **"المولى عبد الرحمان بن زيدان 1225-1365"**، **مجلة دعوة الحق**، العدد 322، أكتوبر 1996، على الرابط www.habous. Gov.ma>daouat alhaq>itemes.

3- **"محمد بن محمد الشريف في قوته وارتياده للأدب"**، **مجلة دعوة الحق**، العدد 116، على الرابط: www.habous. Gov.ma>daouat alhaq>itemes.

سابعا: الكتب الأجنبية

1. Caille, jacques, **la petite histoire du Maroc**, T.I, II, Casablanca, 1954.
2. Julien charles André, les Africains "**Hassan Ier et les cris Marocaine au xix siècle**", édit, jeune africains, S.L, 1977-1978.
3. Miege, jean Louis, **le Maroco et l'Europe 1830-1914**, T.I.II, III,(1961), T.IV (1964), P.U.F, Paris, 1961-1964.

ثامنا: روابط إلكترونية

1. الرابط: .http//www.alhiwar.internet/sps.com، تاريخ الإطلاع يوم 2019/15/05، على الساعة 18:07).

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

المحتوى	الصفحة
شكر وعرفان	
إهداء	
قائمة المختصرات	
مقدمة	أ
الفصل التمهيدي: المغرب الأقصى قبيل اعتلاء الحسن الأول العرش	
أولا: أوضاع المغرب الأقصى	**6**
1-داخليا	**6**
2-خارجيا	**8**
ثانيا: نبذة عن شخصية السلطان الحسن الأول	**8**
1-النسب والمولد	**8**
2-البيعة والوفاة	**13**
الفصل الأول: الإصلاحات السياسية و الإدارية و العسكرية	
أولا: الإصلاحات الإدارية	**17**
1-الجهاز المخزني (الحكومة)	**17**
أ-الوزير الأعظم (رئيس الحكومة)	**17**
ب-الوزارات	**18**
2-جهاز القصر	**19**
أ-الحاجب	**20**
ب-قائد المشور	**20**
ثانيا: الإصلاحات السياسية	**21**
1-مؤتمر طنجة 1877م	**21**
2-مؤتمر مدريد 1880م	**22**
ثالثا: الإصلاحات العسكرية	**25**

1-الجيش العسكري	25
2-الأسطول البحري	29
الفصل الثاني: الإصلاحات الاقتصادية و الاجتماعية و الثقافية	
أولا: الإصلاحات الاقتصادية	33
1-النشاطات الاقتصادية	33
2-العملة	36
ثانيا: الإصلاحات الاجتماعية	37
1-الصحة	37
2-المنجزات العمرانية	39
ثالثا: الإصلاحات الثقافية	41
1- البعثات الطلابية	41
2-الطباعة و الصحافة	43
أ- الطباعة	43
ب-الصحافة	44
الفصل الثالث: التحديات التي واجهت السلطان الحسن الأول	
أولا: على المستوى الداخلي	47
1-الدينية والثقافية	47
2-الاقتصادية و السياسية	48
أ- الإقتصادية	48
ب- السياسية	50
ثانيا: على المستوى الخارجي	51
1-التدخلات الأجنبية	51
2-التعاملات الأجنبية	53
خاتمة	55
الملاحق	59

قائمة المصادر والمراجع	**67**
فهرس المحتويات	**73**